البحث السادس والثلاثون

أضواء على
تاريخ المسجد الأقصى
حتى نهاية عصر المماليك

إعداد

د / محمود عبده نور الدين

قسم التاريخ والحضارة ـــ بجامعة الأزهر

لجنة التحكيم

أ.د / محمود عبد الفتاح شرف الدين عضو اللجنة المحكمة

أ.د / محمد محمد عبد القادر الخطيب عضو اللجنة العلمية الدائمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾.

سورة الإسراء: آية رقم ١

مُقدِّمة

الحمد لله ــ رب العالمين ــ والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين ورحمة الله للعالمين ، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واتبع سنته إلي يوم الدين .

وبعد ...

فإن المسجد الأقصى جزء أساسي من التاريخ الديني للأمة ،ومعلم حضاري في مسارها ، وروض نضر من رياضها ، وهو مثنى عليه من قبل ربها ومحثوث عليه في هدي نبيها ، وهو أولى قبلتيها وثالث حرمها ، ومثرى رسولها، وهو المكان الذي شهد إبطال خواص الزمان ومقاييس المكان ، وكان السراج الوهاج .. فهو نهاية الإسراء وبداية المعراج .

لقد كافح هذا المسجد كفاحاً مريراً عبر تاريخه المجيد ؛ فهو ثاني مسجد وضع في الأرض ، وقد توالت عليه الأعصار .. وشهد الكثير من نوائب الليل والنهار ، وتجرع من صدمات الزمان ومكايد الإنسان ما أدماه ، وهو الآن يئن تحت تلك المكايد التي تهدف إلي زلزلة أركانه .. بل إلي انفصام أوصاله ؛ ولا غرابة أن تأتي هذه المكايد من قتلة الأنبياء ودعاة الفتن الذين لا يزالون يوقدون نار الحروب ما دام البشر وما داموا هم ، والله يطفئها . وهم المغضوب عليهم والملعونون بما كسبوا . لقد أصبح المسجد هدفاً أساسيا لدى هؤلاء ومنذ أمد بعيد بدأوا في خططهم لنيل هدفهم ، وما يندى له الجبين هو تقاعس الأمة عن نصرة هذا الجريح الذي يزداد نزيفه يوما بعد يوم ، ندعو الله ألا يكون قد خبأ له مصير المسجد البابري بالهند عندما تقاعس المسلمون عن نصرته بعد أن قرعت آذانهم معاول الهندوس وطلقاتهم .

وهذه إطلالة تاريخية على عمر هذا الأثير الجريح ، نقدم له فيها ما نملكه من كلمات لو استطعنا لسطرناها بدمائنا .. جعلنا الله فداؤه ، كلمات نتحرى فيها قدر استطاعتنا حقيقة تاريخه من لدن وضعه ــ حسبما سطر المسطرون وقص الراوون ــ إلي وقتنا هذا ، نرمي إلي تغطية هذا التاريخ المديد بأوثق المعلومات الممكنة ومصادر التاريخ غنية بذلك ــ دون أن نتعمق في قضايا قد تخرجنا من مسارنا .

وقد جاءت الدراسة مشتملة على : مقدمة وستة فصول .

أما الفصل الأول : فتناول تاريخ المسجد الأقصى منذ وضع إلي ما قبل الإسلام ـــ حسب حسبما توفر من معلومات موثقة ، وجاء بعنوان : (البناء وملامح التاريخ القديم) .

أما الفصل الثاني : فخصص لتناول فضائل المسجد الأقصى ومكانته في الإسلام وذلك من خلال المصدرين الأساسيين ـــ القرآن والسنة ـــ وما دار حول مواضعهما من أقوال العلماء .

أما الفصل الثالث : فقد استعرض تاريخ المسجد الأقصى في أولى عصوره الإسلامية ، وهو (عصر النبوة والخلافة الرشيدة) .

أما الفصل الرابع : فخص بتاريخ المسجد في العصر الأموى .

الفصل الخامس : كان موضوعه (العصر العباسي) . مشتملا على جهود المماليك تجاه المسجد.

أما الفصل السادس : فتناول وصف المؤرخين والرحالة للمسجد الأقصى .

وقد جاء التناول مختصراً .. مقتصرا على أبرز ما ورد في موضوعه ، حتى يمكن تغطية المحاور الرئيسية في تاريخ المسجد الأقصى .

أما المصادر فقد تنوعت ، ولكن اقتصرت أيضاً على أكثرها مصداقية وواقعية وقرباً من الأحداث ـــ كلما تيسر ذلك ـــ وقد رأيت البعد عن الكثير من المبالغات التي عجت بها بعض المصادر بدافع العاطفة أو تماشيا مع اتجاهات تقليدية عند تناول مثل هذه الموضوعات ، وسوف تبرز قائمة المصادر والمراجع ما تم الاعتماد عليه والاستعانة به في هذه الدراسة .

والله من وراء القصد .

د. محمود عبده نور الدين

جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية بأسيوط

قسم التاريخ والحضارة

الفصل الأول

بناء المسجد الأقصى

- التسمية .
- تحديد الموقع .
- بناء المسجد الأقصى .

التسمية

جاءت التسمية القرآنية صريحة وواضحة لهذا المسجد المبارك ، والمبارك حوله ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [1] .

وهى تسمية يظهر فيها الانتساب للمكان – الأقصى – وهو انتساب منطقى وطبيعى ، وهو يبين فى نفس الوقت قدر هذا المسجد ومكانته فهو " مسجد " والمساجد مُعَرّفة بانتسابها لله فهى بيوته فى الأرض ولا فائدة مبتغاه من انتسابها لأسماء أو أمور تخرجها من طبيعتها الإلهية : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ [2] لكن ثمة فائدة من انتسابها للمكان أو لصفة ترتب آثارا.

أما الصفة فمثل " المسجد الحرام " فصفة حرام ترتب آثاراً على هذا البيت المحرم ، أما المكان فمثله "المسجد الأقصى " الذى حدا ببعض العلماء لأن يأولوا هذا البعد بالبعد عن الأقذار والخبائث كما ذكره ابن حجر [3] – وغيره – والمكان هنا أيضا مكان مبارك حوله وهو بالتالى أخص بمزيد من البركة ، وهو مكان شهد عدداً كبيرً من أنبياء الله ورسله الذين كانت لهم مع أقوامهم دعوات ومجادلات أفضت إلى عبادات لرب الأرض والسماوات ، أو قتل ومطاردات لهؤلاء الأنبياء .. رسل السماء .. فحلت اللعنات ، وباء بغضب الرب أصحاب الموبقات لتلك الأفعال المهلكات ، لكن هذا المكان نعم بانبياء رب السماوات ، وخدمته من النساء الطاهرات الصديقات ومن هن أم كليم المهد عيسى الرسول ، وأحل الله من حوله البركات ، فالتسمية إسلامية قرآنية .

---

[1] سورة الإسراء : آية ١ .

[2] سورة الجن : آية ١٨ .

[3] ابن حجر العسقلانى : فتح البارى ، تحقيق محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ــ بيروت ج ٦ ص٤٠٨ .

لكن ثمة أسماء أخرى أطلقت على هذا المسجد المبارك ، منها ما جاء على لسان سيد الخلق ـ ﷺ ـ أثناء حديثه عن الإسراء والمعراج فى مثل قوله ـ ﷺ ـ : " لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه " . [1]

كذلك هناك أسماء أخرى عرف بها المسجد الأقصى فى العصور القديمة ، واستمر بعضها إلى الفتح الإسلامى ، وقد جمع العلماء هذه الأسماء وبينوا أصولها ومعناها ، وهذا يهكس أمرين مهمين :

الأول : اهتمام المسلمين بهذا الأثر الدينى الكبير ومكانته عندهم .

الثانى : أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، وأن كثرة الأسماء – كما قال العلماء – تدل على شرف المسمى ، وفيما يأتى خلاصة ما ذكره العلماء حول أسماء المسجد الأقصى وأصولها ومعانيها.[2]

---

[1] البخارى : صحيح البخارى ، ج٣ ص ١٤٠٩ ، رقم ٣٦٧٣ ، وج ٤ ص ١٧٤٣ ، رقم ١٤٣٣ ، ومسلم : صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار احياء التراث العربى – بيروت – بدون تاريخ النشر ، ج ١ ص ١٥٦ ، رقم ١٧٠ .

[2] بدر الدين الزركشي : إعلام الساجد في أحكام المساجد ، وشمس الدين السيوطي : إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ، تحقيق د. أحمد رمضان أحمد ، دار الكتب والوثائق القومية ـ مصر ـ ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م القسم الأول ، ص ٩٣ وما بعدها وابن حجر : فتح الباري ، ج ٦ ص ٤٠٨ ، وتاج الدين الحسينى : الروض المغرس فى فضائل البيت المغرس ، مخطوط ، نشر نصوص منه ضمن كتاب فضائل بيت المقدس – فى مخطوطات عربية قديمة – د . محمود إبراهيم – منشورات معهد المخطوطات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ط ١ – الكويت – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م ، ص ٤٤٩ – ٤٥٢.

* **المسجد الأقصى** أما تسميته بالأقصى ، فلأنه – كما جاء فى رواية صاحب : إعلام المساجد " – أبعد المساجد التى تزار ويبتغى بها الأجر ، من المسجد الحرام ، وقيل لبعده عن الأقذار والخبائث .

وفى شرح مسلم جزم بالرأى الأول ، فقد جاء قوله : كلاهما من إضافة الموصوف إلى صفته ، وجوزه الكوفيون ، وتأوله البصريون بحذف مضاف ، أى مسجد المكان الحرام ، والمكان الأقصى .

* **بيت المَقْدِس** أى المكان الذى يطهر من الذنوب ، والقدس : الطُّهْر .

* **البيت المُقَدّس** أى المطهَّر ، وتطهيره إخلاؤه من الأصنام ، ويروى أن الأرض المقدسة ثلاثة : فلسطين ، والأردن ، ودمشق .

* **مسجد إيليا** أى بيت الله المقدّسى .

* **سَلَمْ** وأصله سَلَمْ بشين معجمة لأن شين العجمية ، سين فى العربية ، قال ابن الأثير اسم بيت المقدس ، ومعناه بالعبرانية بي السلامة .

* **أوشَلِم – أوشليم – إليا – صُهْيُون – مَصْروث – بابوش** كذلك ذكر البعض أسماء أخرى مثل : أورسلم – أورشليم ، وغيرها ، وقد جاء فى " ومثير الغرام إلى زيارة القدس والشام " وغيره ، أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى . [1]

تحديد الموقع

نظرا لاتساع هذا المسجد وتعدد اجزائه وملحقاته ، وبناء اكثر من مسجد بداخله وذلك عبر فترات زمنية متوالية فقد التبس على البعض معرفة المسجد الأقصى على وجه الدقة ، وظن أنه هذا المسجد أو ذاك مثل المسجد الذى بناه عمر بن الخطاب ، أو مسجد قبة الصمرة ، أو غيرهما ،

---

[1] تاج الدين الحسيني : الروض المغرس ، ص ٤٥١ .

وهذا الأمر يبدوا أنه ليس حديثاً بل هو قديم ، إذا نجد ابن تيمية [٦٦١ - ٧٢٨هـ / ١٢٦٣ـ ١٣٢٨ م.] يثير هذا الأمر ويذكر فيه رأيه فيقول : " إن المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد الذى بناه سليمان ـ عليه السلام ـ وقد صار بعض الناس يسمى الأقصى المصلى الذى بناه عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فى مقدمه " . (١)

والمتفق عليه إسلامياً أن المسجد الأقصى هو كل ما يحيطه السور المعروف الآن والذى يضم قبة الصخرة ومسجد عمر بن الخطاب والمسجد الأقصى وباقى المساجد والأورقة والملحقات المختلفة ، ومن المعروف أن النبى ﷺ وصفه بدقة فى رحلة الإسراء والمعراج كما ثبت فى الأحاديث الصحيحة – كما ذكر آنفا – قبل أن يبنى عمر مسجده أو عبد الملك قبته ..." .

وقد جاء فى تحديد المسجد الأقصى : أنه " الساحة الواقعة داخل اسوار القدس فى زاويتها الشرقية الجنوبية ، فسوره الشرقى متحد مع سور القدس ، والجنوبى أكثر من نصفه من الجهة الشرقية متحد كذلك ، والباقى من الجهة الجنوبية الغربية ، والغربية بكاملها ، والشمالية بكاملها ، فهو سور خاص داخل المدينة المسورة نفسها " . (٢)

وقد جاء فى كتاب بلدانية فلسطين العربية للأب أ .س. مرمرجى الدومنكى الذي كان أحد أساتذة المعهد الكتابى والآثارى فى القدس الشريف ، وعضو المجمع العلمى العربى بدمشق (أن المتعارف عند الناس أن الأقصى من جهة القبلة ، الجامع المبنى فى صدر المسجد ، الذى فيه المنبر ، والمحراب الكبير ، وحقيقة الحال أن الأقصى اسم لجميع المساجد ، مما دار عليه السور) ، كذلك الفتوى الدينية التى صدرت عن علماء المسلمين فى الضفة الغربية عام[١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م] وصرحوا فيها بذلك أيضا استنادا إلى نصوص دينية وتاريخية موثوقة .

---

(١) ابن تيمية : كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية فى الفقه ، تحقيق عبد الرحمن بن محمد النجدي ، مكتبة ابن تيمية ج ٢٧ ص١١ .

(٢) WWW.alaqsa- online.com.٢٠٠٧/٦/١٩

وقد أيد هذه الفتوى مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية فى الأزهر الشريف الذى عقد عام [١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م] .[١]

بناء المسجد الأقصى

أخرج الإمامان البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي ذر قال : سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع فى الأرض قال : " المسجد الحرام " قلت : ثم أى ؟ قال : " المسجد الأقصى " قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون عاماً ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركتك الصلاة فصل " [٢].

كذلك أخرج النسائى باسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال : " إن سليمان بن داود ـ عليه السلام ـ لما بنى بيت المقدس سأل الله خلالاً ثلاثة ، حكما يصادف حكمه فأوتيه ، وسأل الله عز وجل ملكا لا ينبغى لأحد من بعد فأوتيه ، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد ألا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه فأوتيه " [٣].

وبين يدى هذين الحديثين تباينت آراء العلماء من مفسرين ومحدثين ومؤرخين وغيرهم فى تحديد من قام بتأسيس أو بناء المسجد الأقصى ، كما كانت الحال أيضا فى شأن المسجد الحرام ، إلا أن الأخير ترجح أو نُصّ على تأسيسه قبل إبراهيم وإن إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – رفعا قواعده .

ويمكن تصنيف تلك الآراء فى محورين :

الأول : يرى أصحابه أن الذى بنى المسجد الأقصى هو سليمان – ـ عليه السلام ـ – وأن الأمر إذا سبقه فلن يتجاوز اباه داود ـ عليه السلام ـ الذى بدأ فيه – على رأى – أو هَمّ بذلك ولم يتم البدء فيه – على رأى آخر ، ومن هذا الفريق : ابن حبان ، وهو أيضا ما

---

[١] د. عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠ ، ص ١٨١ .

[٢] البخاري : الصحيح ، ج ٣ ص ١٢٦٠ ، رقم ٣٢٤٣ ، ومسلم : الصحيح ، ج ١ ص ٣٧٠ ، رقم ٥٢٠، النسائي : السنن الكبرى ، ج ١ ص ٢٥٦ ، رقم ٧٧٢ .

[٣] النسائي : السنن الكبرى ، ج ٢ ص ٣٤ ، رقم ٦٤٣ ، وقال عنه الألباني صحيح .

رآه ابن طاهر المقدسى وبعض رواة الطبرى ، والمسعودى واليعقوبى والمقدسي وابن الأثير وابن خلدون حيث يظهر ذلك من السياق اللفظى لحديثهم لا سيما وأنهم لم يذكروا خليفيات لهذا الأمر .

وقد أورد ابن كثير قول ابن حبان وأنكره ، وقال إنه لم يوافق عليه ولا سبق إليه ، وأول الحديث الذى استند إليه ابن حبان ــ والذى سبق ذكره ــ بأن المراد أنه جدد بناءه ، كذلك أن بين وضع المسجدين أربعين سنة ، ولم يقل أحد أن بين سليمان وإبراهيم أربعين سنة سوى ابن حبان فى تقاسيمه . (١)

أما ابن طاهر المقدسى وهو من مؤرخى القرن الرابع الهجرى [٣٥٥هـ /٩٦٦م] فقال إن سليمان بدأ بناء بيت المقدس فى السنة الرابعة من ملكه (٢) ، لكنه ذكر أيضا فى موضع آخر أن داود ــ عليه السلام ــ هو الذى وضع أساسه ، وأن سليمان أتمه . (٣)

أما المقدسي فقال : إن أساس المسجد من عمل داود ــ عليه السلام ــ (٤).

أما ابن الأثير فيذكر أنه قد أصاب الناس في زمن داود ــ عليه السلام ــ طاعون جارف فخرج إلي موضع بيت المقدس ، وكان يرى الملائكة تعرج منه إلي السماء فلهذا قصده ليدعو فيه ، فلما وقف في موضع الصخرة دعا الله تعالى فاستجاب له ورفع الطاعون فاتخذ ذلك الموضع مسجداً ، وكان الشروع في بنائه لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه ، لكنه توفى قبل أن يتم البناء ، فأوصى إلي سليمان بإتمامه ، فأتمه سليمان بالرخام وزخرفه بالذهب ورصعه بالجواهر ، وقول

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ــ بيروت ، ج١ص١٦٢ .

(٢) المظهر بن طاهر المقدسى : البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية ــ مصر ــ ج٢ص١٥٢ .

(٣) السابق ج ٣ ص ١٠٥ .

(٤) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط ٣ مكتبة مدبولي ــ مصر ــ ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، ص ١٦٨.

على ذلك جميعه بالجن والشياطين ، وذكر ابن الأثير قول من قال : إن داود همَّ ببنائه وأن الله أعلمه أن الذي سيبنيه ابنه سليمان [1] .

كذلك يذكر ابن خلدون هذا الأمر فيقول : إن داود ـ عليه السلام ـ أراد بناء مسجده على الصخرة فلم يتم له ذلك فعهد إلي ابنه سليمان فبناه لأربع سنين من ملكه ولخمسمائة سنة من وفاة موسى ـ عليه السلام ـ [2] .

وروى القرطبي أن داود ـ عليه السلام ـ أسس بيت المقدس ، فلما مات أوصى إلي سليمان في إتمامه فأمر سليمان الجن به فلما دنت وفاته قال لأهله لا تخبروهم بموتي حتى يتموا بناء المسجد ، وكان قد بقي لإتمامه سنة ، وقد ذكر القرطبي أن ذلك قول الماوردي[3] .

الثانى : أما المحور الثانى فيرى أصحابه أن وضع أو تأسيس بيت المقدس فى أول أمره إنما يرجع إلى ما قبل سليمان وداود – عليهما السلام – لكن مع ذلك فإن آراء هذا الفريق تباينت – ولكل مجتهد نصيب – حول تحديد مؤسس المسجد الأقصى ما بين الملائكة ، وآدم ، وسام بن نوح ، وإبراهيم ، ويعقوب – عليهم السلام – .

وهذا لا يتعارض مع أى من الحديثين الشريفين السابقين بل يأتى تفعيلاً لمعناهما حسب اجتهادات هذا الفريق ، فالحديث الأول ليس فيه نص على تحديد مؤسس أى من المسجد الحرام أو المسجد الأقصى لكن التحديد فى المدة الزمنية بين وضع المسجدين ، أما الحديث الثانى فقد أولوه على أنه تجديد للأقصى علي يد سليمان وليس تأسيس ؛ لأن المعطيات التاريخية والمقاييس الزمنية يستحيل معها حصر المدة بين إبراهيم الذى رفع القواعد من البيت مع ابنه إسماعيل ، وبين سليمان فى أربعين سنة .

---

[1] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ط دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ج ١ ص ٢٢٧ـ ٢٢٨ .

[2] ابن خلدون : المقدمة ، دار الجيل ـ بيروت ـ ص ٣٩٢ .

[3] القرطبي : تفسير القرطبي ، دار الشعب ـ القاهرة ـ بدون تاريخ الطبع ج ١٤ ص ٢٧٨ ، ٢٨٢.

والفريق الثانى يمثله أكثر العلماء تقريباً ، ومن هؤلاء ابن الجوزى والطحاوى والزركشى وابن قيم الجوزية وابن كثير وابن عساكر وغيرهم .

أما أبو جعفر الطحاوى فإنه يرى أن الوضع غير البناء ، والسؤال عن مدة ما بين وضعهما ، لا عن مدة بنائهما ، فيحتمل أن يكون واضع المسجد الأقصى بعض الأنبياء قبل داود وسليمان ، ثم بناه سليمان بعد ذلك . [١]

أما ابن عساكر فقد ذكر فى كتابه المستقصى فى فضائل الأقصى عن كعب الأحبار أنه قال " الأساس القديم الذى لبيت المقدس إنما وضعه سام بن نوح ثم بناه داود وسليمان على الأساس . [٢]

أما ابن كثير فقد أورد مذهب أهل الكتاب فى ذلك وهو أن يعقوب هو الذى أسس المسجد الأقصى، وقال وهذا متجه ويشهد له ما ذكرناه من الحديث ، يقصد حديث مسلم الذى أنف ذكره ــ حيث إن بين وضع المسجدين أربعين سنة ، أما الحديث الثانى فتأويله عند ابن كثير أن سليمان جدد بناءه [٣] ، وقد ذكر فى موضع آخر أن إسرائيل [يعقوب] هو أول من جعله مسجداً [٤] وهذا رأى ابن قيم الجوزية أيضاً . [٥]

---

[١] د. محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم (الشام) – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ١٩٩٥ ، ص ١١٧.

[٢] السيوطى : اتحاف الأخصة فى فضائل المسجد الأقصى القسم الأول دار الكتب والوثائق القومية ــ مصر ــ ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ص ١٧٨ .

[٣] ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص ١٦٢ ، تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر ــ بيروت ــ بدون تاريخ ، ص ١٨٦.

[٤] البداية والنهاية ، ج٢ ص ٢٦ .

[٥] د. محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم (بلاد الشام) ، ص ١١٨ .

كذلك ذهب برهان الدين الزركشي إلى أن سليمان ـ عليه السلام ـ إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده لا تأسيسه . [1]

أما ابن حجر العسقلاني فيقول إن الإشارة إلى أول البناء ووضع أساس المسجد ، وليس إبراهيم أول من بنى الكعبة ولا سليمان أول من بنى بيت المقدس ، فقد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم – عليه السلام ـ ثم انتشر ولده فى الأرض فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس ثم بنى إبراهيم الكعبة بنص القرآن وكذا قال القرطبى أن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان لما بنيا المسجدين ابتدأ وضعهما لهما بل ذلك تجديد لما كان أسسه غيرهما ، أما الإمام الخطابى فقد قال إنه يشبه أن يكون المسجد الأقصى أول ما وضع بناءه بعض أولياء الله قبل داود وسليمان ، ثم داود وسليمان فزادا فيه ووسعاه فأضيف إليهما بناؤه ، قال وقد ينسب هذا المسجد إلى إيليا فيحتمل أن يكون هو بانيه أو غيره ، وقد ذكر ابن حجر أنه قرأ بعض الآراء التى تقول إن أول من بنى المسجد الأقصى آدم ـ عليه السلام ـ وقيل الملائكة ، وقيل سام بن نوح ، وقيل يعقوب ـ عليه السلام ـ ... الخ . [2]

محاولات للتوفيق بين الاتجاهين

رأى بعض العلماء أن ثمة توفيقاً بين الإتجاهين ، فابن خلدون يقول : " ولا يعرض لك الإشكال المعروف فى الحديث الصحيح أن النبى ﷺ سئل عن أول بيت وضع فقال بين مكة وبين بناء بيت المقدس قيل فكم بينهما قال أربعون سنة ، فإن المدة بين بناء مكة وبين بناء بيت المقدس بمقدار ما بين إبراهيم وسليمان لأن سليمان بانيه وهو ينيف على الألف بكثير، واعلم أن المراد بالوضع فى الحديث ليس البناء وإنما المراد أول بيت عين للعبادة ، ولا يبعد أن يكون بيت المقدس عين للعبادة قبل بناء سليمان بمثل هذه المدة ، وقد نقل أن الصابئة بنوا على الصخرة هيكل الزهرة فلعل ذلك أنها كانت مكاناً للعبادة كما كانت الجاهلية تضع الأصنام والتماثيل حوالى الكعبة وفى جوفها والصابئة الذين بنوا هيكل الزهرة كانوا على عهد إبراهيم ـ عليه السلام ـ فلا تبعد

---

[1] السابق ، ص ١١٨ .

[2] ابن حجر : فتح البارى ، ج ١ ص ٤٠٨ – ٤٠٩ .

مدة الأربعين سنة بين وضع مكة للعبادة ووضع بيت المقدس وإن لم يكن هناك بناء كما هو المعروف أن أول من بنى بيت المقدس سليمان ــ عليه السلام ــ فتفهمه ففيه حل هذا الإشكال.[1]

وصاحب الأنس الجليل فى تعليقه على آراء بعض العلماء عن بناة المسجد ومنهم آدم ــ عليه السلام ــ وسام ابن نوح عليهما السلام أو يعقوب بن إسحاق ــ عليه السلام ــ يقول : وهذه الأقوال تدل على أن بناء داود وسليمان ــ عليهما السلام ــ إياه إنما كان على أساس قديم لا أنهما المؤسسان له ، بل هما مجددان وكل قول من الأقوال الواردة فى بناء المسجد الأقصى لا ينافى الآخر ، فإنه يحتمل أن يكون بناء الملائكة أولا ، ثم جدده آدم ــ عليه السلام ــ ثم سام بن نوح عليهما السلام ، فإن كل نبى منهم بينه وبين الآخر مدة تحتمل أن يجدد فيها البناء المتقدم قبله ... والله أعلم .[2]

محاولات للترجيح

يميل بعض المؤرخين المعاصرين ــ حدساً عن غير يقين ــ إلى أن إبراهيم ــ عليه السلام ــ ، هو الذى وضع الأسس للمسجد الأقصى على أساس أن رواية مسلم إنما تتحدث عن أول مسجد ، وليس أول بيت ، وهى العقبة التى احتج بها صاحب تفسير المنار ، وعلى أساس ما جاء فى الأحاديث الشريفة من أن سليمان هو الذى بنى بيت المقدس ، وعلى أساس ما ذهب إليه جمع كبير من المؤرخين من أن سليمان قد بنى المسجد الأقصى بعهد أبيه إليه بذلك ، وعلى أساس أن إبراهيم ــ عليه السلام ــ طبقا لرواية العهد القديم إنما قد زار القدس ، وأنه قد أقام المحاريب لله فى فلسطين ، وخاصة فى شكيم وبين إيل وبلوطات ممراً ومن ثم فليس هناك ما يمنع من أن يكون أبو الأنبياء قد فعل الشئ نفسه فى القدس ، هذا فضلاً عن أنه إذا ما كان صحيحا ما ذهبنا إليه فى هذه الدراسة وغيرها من أن إبراهيم ــ عليه السلام ــ كان يعيش فى الفترة [١٩٤٠ – ١٧٦٥ ق.م.] وأنه قد بنى الكعبة البيت الحرام حوالى عام ١٨٢٤ قبل الميلاد ، فإن بناءه ، أو وضعه

---

[1] ابن خلدون : المقدمة ، دار الجيل ــ بيروت ــ ص ٣٩٤ .

[2] د. عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ١٧٩ .

لأسس المسجد الأقصى بعد ذلك بأربعين عاماً أى حوالى عام ١٧٨٤ قبل الميلاد ، يكون أمراً مقبولاً ، وأن ذلك قد تم قبل أن يولد حفيده يعقوب ـ عليه السلام ـ بأربع سنوات ذلك لأن الخليل ـ عليه السلام ـ قد رزق بولده إسحاق ـ عليه السلام ـ ، وقد أكمل المائة من عمره (بعد أن رزق بإسماعيل وهو فى السادسة والثمانين من عمره) وقد عاش إسحاق ١٨٠ عاماً ، ومن ثم فهو كان يعيش فى الفترة [١٨٤٠ – ١٦٦٠ ق.م] وأن يعقوب كان يعيش فى الفترة [١٧٨٠ – ١٦٣٣ق.م] على أساس أنه ولد لأبيه إسحاق ، وهو فى الستين من عمره ، وأنه عاش ١٤٧ سنة ، وأن بنى إسرائيل قد دخلوا مصر حوالى عام [١٦٥٠] قبل الميلاد ، حين كان يعقوب فى الثلاثين بعد المائة من عمره ، وأما سليمان فهو الذى بدأ بناء المسجد الأقصى الذى وضع إبراهيم أسسه فى عام حكمه الرابع حوالى عام [٩٥٧] قبل الميلاد . [1]

ويمكن بعد ذلك القول : إنه ليس ثمة تحديد قطعى باسم من قام بتأسيس المسجد الأقصى أول مرة وهذا إنما يدرج فى اطار عام عرف فى الإسلام لا سيما فى النصوص القرآنية والنبوية وهو أن العناية إنما تكون بالمضمون المسميات لا بالأسماء إلا إذا كانت له ضرورة فى ذكره ، ومع ذلك فإن المسجد الأقصى قد حدد له من الزمان بينه وبين أول بيت وضع للناس – المسجد الحرام – وعرف عنه من المعطيات التاريخية ، ما ساعد العلماء فى اجتهادهم وشجعهم عليه ، والمحاولات الكثيرة للإجابة على سؤال من بنى المسجد الأقصى أو أسسه أول مرة ، ليس من قبيل الفضول العلمى للعلماء ولكن من قبيل الاهتمام الكبير به ومكانته فى دينهم عامة وتاريخهم وهويتهم الدينية خاصة ، لا سيما وأنه مطمع أعدائهم ومرمى أحقادهم .

وإذا كان البيت الحرام هو أول بيت وضع للناس وهو ببكة ، بتصريح القرآن الكريم ، والحديث الصحيح فإن أرض الشمال منه – بيت المقدس – أو فلسطين عموما – حسب جغرافية التاريخ القديم – هى مجمع الكثير من أنبياء الله ، وموطن زياراتهم ، وهى أرض باركها الله وبعث فى قومها اثنا عشر نقيبا ، وهذه لم تكن بعيدة عن ذرية نوح ـ عليه السلام ـ بعد أن رست سفينته على الجودى – بالعراق على قول أكثر العلماء – وهى الأرض التى رحل إليها أبو الإنبياء

---

[1] د. محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم (بلاد الشام)، ص ١٢٢ – ١٢٣ .

إبراهيم ـــ عليه السلام ـــ وابن أخيه لوط وزوجته ساره ، ومنها رحل إلى مصر وعاد بهاجر التى تزوجها وانجب منهـــا إسماعيل هناك ، وانتهى به الأمر إلى أن توفى هناك ودفن فيها . وفيها عاش إسحق وابنه إسرائيل (يعقوب) وذريتـــه ثم داود وسليمان ويحيى وزكريا وعيسى وغيرهـــم – عليهم جميعاً السلام – وهى الأرض التى جمع فيها هؤلاء وغيرهم ليلة الإسراء والمعراج ليـــؤمهم خاتمهم محمد ﷺ قبل أن يعرج به ربه إلى السماوات ثم إلى سدرة المنتهى ، ويتقابل مع بعـــضهم ، ليكون الإتّباع فى الأرض والاتحاد فى السماوات والأرض أيضاً ، ولتربط الله – تعـــالى – هـــذين المكانين الطاهرين المقدسين المسجد الحرام والمسجد الأقـــصى بعـــضهما بـــبعض ، ثم يربطهمـــا بالسماوات بل بما فوقهن من خلال معجزة إلهية كبرى شرف بها سيد الخلق وخاتم النبيين .

ومكان كهذا حرى أن يكون به مكان لعبادة الرب على قدر مقامه ومقـــدار منزلتـــه ، وليس من المعقول أن يشرف هذا المكان بهذا الجمع من رسل الله وأنبيائـــه منـــذ العهـــود الأولى للبشرية ، ولا يبنى أو يؤسس مكان العبادة فيه إلا فى تلك المرحلة المتأخرة – وهى مرحلة سليمان ـــ عليه السلام ـــ – .

وعلى أقل تقدير وبناءً على المعطيات التاريخية يمكن أن نرجح بوضع هذا المكان المقدس فى عهد إبراهيم ـــ عليه السلام ـــ فهو الذى رفع القواعد من البيت الحرام بمساعدة ابنه إسماعيل ـــ عليهم السلام ـــ وهو مكان لم يستقر فيه إبراهيم طويلاً ، فحرى أن يضع مكاناً كهذا للعبادة فى موطنه الذى استقر ومات فيه ، وكما سبق فإنه ثابت تاريخياً – أن إبراهيم رحل إلى فلسطين أو الشام عموماً ، ثم إلى مصر ثم عاد إلى فلسطين ثم إلى مكة ثم رجع ومات فى فلسطين .

ويحدثنا العهد القديم أن إبراهيم أخذ يتنقل فى أرض فلسطين ما بين شكيم وسهل مُورَة وبنى هناك مذبحاً للرب ، كذلك انتقل إلى جبل شرقى بيت إيل ونصب هناك خيامه بين بيت إيل شرقاً وعَايَ غربا وشيد أيضاً مذبحاً للرب ودعا باسمه . [1]

كذلك ليس من المستبعد أن يكون قد وضع أو بنى مكان للعبادة فى المسجد الأقصى على تتابع أو توالى وجود رسل الله فى هذا المكان بحيث يبنى أحدهم هذا المكان ثم يهدم بتقادم الزمن أو فعل الحوادث الطبيعية أو البشرية ، ثم يجدد من قبل نبى لاحق ... وهكذا ، حتى كان النص على أقرب الأنبياء الذين بنوه بالنسبة للنبى ﷺ وللمسلمين والملاحظ فى حديث عبد الله بن عمرو والذى أخرجه النسائى بسند صحيح أن ذكر بانى المسجد جاء عرضاً حيث كان القصد ما طلبه سليمان من ربه من خصال خاصة به ، وخاصة بفضل الصلاة فى المسجد الأقصى فى غفران الذنوب إذا قصد للصلاة ، وبالتالى فليس ثمة ما يفيد أولية سليمان فى بناء المسجد ، وإنما جاء إسناد البناء له لأنه ارتبط بذكر تلك الخصال .

---

[1] سفر التكوين : إصحاح ١٢: ٦ – ٩ .

الفصل الثاني

فضل المسجد الأقصى ومكانته

في القرآن الكريم والسنة النبوية

- القرآن الكريم .. وأقوال المفسرين .
- السنة النبوية .

إن فضائل المسجد الأقصى ليضيق بها الحصر ، حيث تتعدد وتتنوع ، فيذكرها القرآن الكريم حيناً وتبسطها السنة حيناً آخر ، ويجسدها الواقع أحياناً ، كما أنها محيطا كبيرا سبح فيه العلماء من مفسرين ومحدثين ومؤرخين ورحالة وجغرافيين وغيرهم ، محايد ومنصفين ، ومبالغين أحياناً — من فرط حبهم وتقديرهم — لمسرى رسول الله — ولأولى القبلتين وثالث الحرمين ، كيف لا وهو ثانى مسجد وضع فى الأرض فقد شهد عصوراً تاريخية وحقباً زمنية ، وعاش عنده وبناه وجدده كثيرون من رسل الله وأنبيائه ، وزارة وخدمه ما لا يحصيهم العد من الزهاد والنساك وسائل المؤمنين حتى مريم الصديقة البتول أم عيسى كلمة الله ورح منه .

القرآن الكريم ، وأقوال المفسرين

ولعل أول المقامات فى هذا الإطار ما جاء فى قرآن الله المجيد فى مفتتح سورة الإسراء.. الإسراء إليه ... والمعراج منه .. وإمامة الأنبياء فيه : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .(١)

إنها رحلة اختيرت على عين الله — تعالى — زمانا .. ومكانا .. وحالاً . رحلة ارتبطت فيها عقائد التوحيد ورسالات السماء منذ كلفها الله خليفته فى الأرض . فجمع أرباب تلك الرسالات وهذه العقائد لميقات هذا اليوم المعلوم ، ليؤمهم محمد فى هذا المكان المقدس الذى كان للكثيرين منهم فيه نصيب وكان لإمامهم وأمته نصيب أكبر ومقام أعظم وإرث أدوم ، إنها رحلة تعدت مقاييس الزمان وتقاسيم المكان ، حيث هى رحلة إليهية وهبة ربانية ومعجزة كونية .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) فقد ذكر المفسرون خواطرهم حول هذه الآية الكريمة وصلتها بالمسجد الأقصى ، ومن ذلك ما رواه الطبرى ، حيث أورد قولاً يقول بأن النصارى هم الذين منعوا ، وأن المسجد هو بيت المقدس ، حيث كانوا يطرحون فيه الأذى ويمنعون الناس ، وهم مؤمنوا بنى إسرائيل الذين

(١) سورة الإسراء : آية (١) .

(٢) سورة البقرة : آية (١١٤) .

المقدس ، حيث كانوا يطرحون فيه الأذى ويمنعون الناس ، وهم مؤمنوا بنى إسرائيل الذين كانوا يصلون فى المسجد ، وإن كانت الدلالة عموم اللفظ ، أن يصلوا فيه ، كذلك أورد قولاً آخر وهو أن بختنصّر وجنده ومن أعانهم من النصارى هم الذين منعوا ، والمسجد على هذا الرأى هو بيت المقدس أيضاً .. وقد رجح الطبرى الرأى القائل بأن النصارى هم الذين منعوا الناس الصلاة فى المسجد .[1] وهذا القول الآخير قال به ابن عباس ومجاهد ، أما من سعى فى خرابها فهو ــ فى قولهم ــ بختنصر وأعوانه حملهم على ذلك بغض اليهود [2] وهناك من رأى أن الخراب المذكور هو خراب معنوى ، وهناك من رأى أنه خراب حسى واستشهد بقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً ﴾.[3] وفى قوله تعالى : " وقولوا حطة " ذكر المفسرون أن باب الحطة من بيت المقدس .[4] وفى قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾.[5] نزلت فى تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام بمكة ، وقد جاء ذلك مفصلاً فى موضعه .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.[6] ، أى صلاتكم إلى بيت المقدس على الأصح.[7] وفى قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ

---

(١) الطبرى : تفسير الطبرى ، دار الفكر ــ بيروت ــ ١٤٠٥هـ ، ج١ ص ٤٩٨ ــ ٥٠٠ .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر ــ بيروت ــ ١٤٠١هـ ، ج١ ص ١٥٧ .

(٣) محمد الأمين الشنقيطى ، أضواء البيان ، دار الفكر ــ بيروت ــ ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ج١ ص ٤٣ ، والآية من سورة الإسراء رقم (٧) .

(٤) الطبرى : تفسير الطبرى ج١ ص ٢٩٩ والقرطبى : تفسير القرطبى ، دار الشعب ــ القاهرة ، ج١ ص ٤١٠ ، والآية من سورة البقرة : رقم ٥٨ .

(٥) سورة البقرة : آية (١٤٤) .

(٦) سورة البقرة : آية (١٤٣) .

(٧) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج١ ص ١٩٣ ، محمد الأمين الشنقيطى : أضواء البيان ، ج١ ص ٤٦

مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِياً ﴾ [1] أى شرقى بيت المقدس ، و ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً ﴾ [2] تعنى خدمة بيتا لمقدس ، وكان ذلك تقرباً إلى الله تعالى . [3] وقوله تعالى: ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [4] يقول ابن كثير " فهذا ـ والله أعلم ـ هو الأظهر لأنه المذكور فى الآية الأخرى ، والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، وهو أولى ما يفسر به ، ثم الأحاديث الصحيحة فم الآثار . [5] وقوله تعالى : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ [6] قال قتادة : الزيتون هو مسجد بيت المقدس . [7] وقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [8] روى بعض المفسرين أن المناداة تكون على صخرة بيت المقدس ، وهذا قول قتادة عن كعب الأحبار [9] وهذا القول لكعب الأحبار قولاً يبعد كثيراً عن قوله لعمر يوم استطلع رأيه فى وضع الصلاة يوم دخل المسجد الأقصى من ناحية مكانة الصخرة عند اليهود ، وكعب كان يهودياً قبل إسلامية ، لكن أيضاً هناك آثاراً كثيرة تجعل بيت المقدس مكان الحشر .

---

(١) سورة مريم : آية (١٦).

(٢) سورة آل عمران : آية (٣٥) .

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج١ ص ١٥ ، محمد الأمين الشنقيطى : أضواء البيان ج٣ ص ٣٨٥ .

(٤) سورة المؤمنون : من الآية (٥٠) .

(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٢٤٧ .

(٦) سورة التين : آية (١) .

(٧) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٨ ص ١٥٤.

(٨) سورة ق : من الآية (٤١).

(٩) الطبرى : تفسير الطبرى ج٢٦ ص ١٨٣ وابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج٤ ص ٢٣١ ..

السنة النبوية

كذلك جاءت السنة النبوية بمقامات شتى تبرز مكانة هذا المسجد الكبير بين مساجد الأرض وتحدد منزلته فيها .

ـ تشد إليه الرجال

فعن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ـ ﷺ ـ ومسجد الأقصى ".(١) وفى رواية أبي سعيد الخدرى عن النبى ـ ﷺ ـ مسجد الحرام ، ومسجد الأقصى ، ومسجدى ".(٢)

ـ ثانى مساجد الأرض وضعاً

وهو ثانى مسجد وضع فى الأرض بعد المسجد الحرام ، ففى حديث أبي ذر عن النبى ـ ص ـ قال : قلت : " أى رسول الله : أى مسجد وضع بالأرض أولاً قال المسجد الحرام ، قلت ثم أى قال المسجد الأقصى ، قال قلت فكم بينهما قال أربعون سنة ، ثم قال : حيث أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد ".(٣)

ـ المسجد الأقصى ورؤى جهنم

لعل ما يوحيه هذا المعنى من السمعيات التى تجعل هذا المكان ـ القدس ـ أرضى المحشر ، وقد جاءت الروايات تترى تذكر رؤى النبى ـ ﷺ ـ لجهنم بجوار بيت المقدس فقد " رئى عبادة بن الصامت وهو على سور بيت المقدس الشرقى وهو يبكى فقيل ما يبكيك يا أبا الوليد قال

---

(١) البخارى : صحيح البخاري ، تحقيق د. محمد ديب البغا ، دار ابن كثير ـ اليمامة ـ بيروت ـ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ج١ ص ٢٦ ، رقم ١١٨٩ .

(٢) السابق : ج١ ص ٢٦٢ ، والطبرانى : المعجم الأوسط ، داء الحرمين ـالقاهرة ـ ١٤١٥هـ ، ج٤ ص ٣١٧ ، رقم ٤٣٢١ ، وج٥ ص ٣٣٧ ، رقم ٥٥٧٦ .

(٣) البخاري : الصحيح ، ج٣ ص١٢٦٠ ، رقم ٣٢٤٣ . ومسلم : الصحيح ، ج١ ص٣٧٠ ، رقم ٥٢٠ ، وعبد الرازق الصنعانى : مصنف عبدا لرازق ، ت حبيب الرحمن الأعظى ، المكتب الإسلامى ـ بيروت ـ ١٤٠٣ ، ج٣ ص ٣٤٨ ، رقم ٥٩٢٥ .

من ههنا أخبرنا رسول الله ـ ﷺ ـ أنه رأى جهنم ".[1]

وفى رواية قال عبادة : ها هنا حدثنا رسول الله ـ ص ـ أنه رأى مالكاً يقلب جمراً كالقطف ".[2] وفى رواية الحاكم : " هاهنا أرنا رسول الله ـ ﷺ ـ جهنم ".[3]

ـ أرض الحشر

وقد روى عنه ـ ﷺ ـ أنه قال : " إنكم تحشرون إلى بيت المقدس ثم تجمعون يوم القيامة ".[4] وقد ذكر ابن كثير وغيره أن بيت المقدس هى أرض المحشر والمنشر .[5]

ـ ملحمة عيسى ـ عليه السلام ـ والدجال فى بيت المقدس

أما هذه الملحمة ـ وهى واحدة من العلامات الكبرى للساعة ـ والتى أكدت بالكثير من النصوص الحديثة والآثار الصحيحة ، فإن موطنها هو بيت المقدس . فقد روى عن النبى أنه حدث عن ثلاثين كذاباً يخرجون " آخرهم الأعور الدجال ممسوح العين اليسرى... وأنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس ، وأنه يحصر المؤمنين فى بيت المقدس فيتزلزلون زلزالاً

---

(١) ابن حبان : صحيح ابن حبان ، ت : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ج١٦ ص ٥٠٥ ، رقم ٧٤٦٤ . وأبو عبدا لله المقدسي : الأحاديث المختارة ، ت عبد الملك بن دجيش ، مكتبة النهضة الحديثة ـ مكة المكرمة ـ ١٤١٠هـ ، ج٨ ص ٢٨٥ ، رقم ١٩٥ .

(٢) ابن حبان : صحيح ابن حبان ، ج١٦ ص ٥٠٥ ، رقم ٧٤٦٥ ، أبو عبد الله المقدس ، الأحاديث المختارة ، ج٨ ص ٣٦٠ ، رقم ٤٤٣ .

(٣) الحاكم النيسابورى : المستدرك على الصحيحين ، ت مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤١١هـ / ١٩٩٠ ، ج٢ ص ٥٢١ رقم ٣٧٨٦ .

(٤) الطبرانى : المعجم الكبير . ت حمدى بن عبدا لمجيد السلفى مكتبة الزهراء ـ الموصل ـ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م ، ج٧ ص ٢٦٤ ، رقم ٧٠٧٦ وابن طاهر المقدس : البدء والتاريخ ، فى مكتبة الثقافة الدينية ـ مصر ـ ، ج٢ ص ٢٣٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٥ ص ٣٣٠ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ، ج٣ ص ٤٠٤ .

شديداً فيصبح فيهم عيسى بن مريم فيهزمه الله وجنوده .....". (١)

▪ فضل العمرة من الأقصى

على ضوء ما ورد عن النبى ـ ﷺ ـ فإن للعمرة من بيت المقدس فضل كبير يجعل الجميع يهفو إلى تحقيقه ، وإن كان الأمر ليس ميسوراً اليوم ، نرجو الله أن ييسر عسره ويفك أسره . فعن أم سلمه قالت : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول من أهل من المسجد الأقصى بعمرة غفر له ما تقدم من ذنبه " قال فركبت أم حكيم إلى بيت المقدس حتى أهلت منه بعمره ". (٢)

▪ فضل الصلاة فى المسجد الأقصى

أما الصلاة فى هذا المسجد فلا تعلوها صلاة فى مكان آخر فى الأرض إلا صلاة فى البيت الحرام ثم أخرى فى مسجدا لرسول ـ ﷺ ـ بل لقد كانت الصلاة فيه والخروج إليها قصدا دعوة إلى الله لتنقية صاحبها من الخطايا جميعاً . فقد قال ـ ﷺ ـ " إن سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ سأل الله ثلاثاً فأعطاه اثنتين وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة سأله حكماً يصادف " حكمه فأعطاه إياه وسأله ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده فأعطاه إياه وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة فى هذا المسجد ـ يعنى بيت المقدس ـ يخرج من خطيئة كيوم ولدته أمة ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ ونحن نرجو أن يكون الله قد أعطاه ذلك . (٣) وفى رواية ابن حبان : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : " وأرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة ". (٤)

كما روى الحاكم بسنده عن أبى ذر قال تذاكرنا نحن عند رسول الله ـ ﷺ ـ أيهما أفضل مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ أو مسجد بيت المقدس ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ صلاة فى مسجدى أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المصلى ولوشكن أن لا يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير من الدنيا جميعاً ، أو قال خير من الدنيا وما

---

(١) الحاكم النيسابورى : المستدرك ، ج١ ص ٤٧٩ . وابن حبان : الصحيح ، ج٧ ص ١٠٢ ، رقم٢٨٥٦.

(٢) ابن حبان : الصحيح ، ج٩ ص ١٤ ، رقم ٣٧٠١ ، والطبرانى : المعجم الكبير ، ج٢٣ص٣٦١رقم٨٤٩.

(٣) الحاكم النيسابورى : المستدرك على الصحيحين ، ج٢ ص ٤٧١ ، رقم ٣٦٢٤ .

(٤) صحيح ابن حبان : ج١٤ ص ٣٣٠ ، رقم ٦٤٢٠ .

فيها".[1]

وروى البزار والطبرانى من حديث أبي الدرداء ــ رفعه ــ الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة والصلاة فى مسجدى بألف صلاة والصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة " قال البزار إسناده حسن .[2]

السفر للصلاة فى الأقصى وموقف العلماء منه

يقول ابن تيميه : اتفق علماء المسلمين على استحباب السفر إلى بيت المقدس للعبادة المشروعة فيه كالصلاة والدعاة والذكر وقراءة القرآن والإعتكاف وقد روى من حديث رواه الحاكم فى صحيحه (أن سليمان ــ عليه السلام ــ سأل ربه ثلاثاً ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده وسأله حكماً يوافق حكمه وسأله أنه لا يؤم أحد هذا البيت لا يريد إلا الصلاة إلا غفر له) ولهذا كان ابن عمر ــ رضى الله عنه ــ يأتى إليه فيصلى فيه ولا يشرب فيه ماء لتصيبه دعوة سليمان لقوله (لا يريد إلا الصلاة فيه) فإن هذا يقتضى إخلال النية فى السفر إليه ولايأتيه لغرض دنيوى ولا بدعة وتنازع العلماء فيمن نذر السفر إليه لصلاة أو الاعتكاف فيه هل يجب عليه الوفاء بنذره على قولين مشهورين ، وهما قولان للشافعى : أحدهما يجب الوفاء بهذا النذر وهو قول الأكثرين مثل مالك وأحمد بن حنبل وغيرهما والثانى لا يجب وهو قول أبي حنيفة فإن من أصله أنه لا يجب بالنذر إلا ما كان جنسه واجباً بالشرع فلهذا يوجب نذر .[3]

صخرة بيت المقدس .. القدر والمقام

يبدو أن الصخرة قد نالت الكثير من الاهتمام بل التقديس منذ زمن بعيد لا سيما عند اليهود ــ قبل الإسلام ــ نظراً لما كانت تحمله من صلة ببعض أنبياء بنى إسرائيل ، كما أنها كانت قبلة اليهود ، وفى الإسلام حازت تلك الصخرة اهتماماً كبيراً ، لعله زاد عن قدره عند الكثير من الناس لاسيما العوام منهم مع أن عمر أبى أن تكون صدراً فى المسجد الذى يصلى فيه المسلمون

---

(١) الحاكم النسيابورى : المستدرك على الصحيحين ، ج٤ ص ٥٥٤ ، رقم ٨٥٥٣ ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢) ابن حجر : فتح البارى شرح صحيح البخاري ، ج٣ ص ٦٧ .

(٣) ابن تيمية : كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية ، ، ج٢٧ ص ٦ .

ـ حيث أشار عليه كعب الأحبار بذلك ، وعمر بن الخطاب له مواقفه المشهوده من قبل فى مثل هذه الأمور ، ومن ذلك حكايته المشهورة مع الحجر الأسود وقوله له عندما قبله ، كذلك الشجرة التى شهدت مبايعة الصحابة للنبى ـ ص ـ عام الحديبية ، وأمره بقطعها عندما علم أن رجلاً يصلى عندها تبركاً بها حيث ارتبطت بهذه الذكرى الجليلة ، وها هو موقفه من صخرة بيت المقدس.."

إلا أنه كما سبق فقد بالغ الكثير من الناس فى تعظيم تلك الصخرة ، حتى من غير المسلمين ، حيث كان الصليبيون يشترون القطعة منها بوزنها ذهباً ، كما ذكرت ذلك فى موضعه ، ومن ثم فقد ثار بعض العلماء على ذلك وأنكره ، وبين مقام هذه الصخرة ومقدارها ومن أبرز هؤلاء العلماء الإمام ابن تيمية صاحب الاتجاه المعروف فى هذا الإطار .

فقد ذكر ابن تيمية حكاية عمر مع كعب الأحبار إلى أن قال عمر فإن لنا صدور المساجد ، ثم قال: ولهذا كان أئمة الأئمة إذا دخلوا المسجد قصدوا الصلاة فى المصلى الذى بناه عمر ، وقد روى عن عمر ـ رضى الله عنه ـ أنه صلى فى محراب داود . وأما الصخرة فلم يصل عندها عمر ـ رضى الله عنه ـ ولا الصحابة ؟!ولا كان على عهد عمر والخلفاء الراشدين عليها قبة ، بل كانت مكشوفة فى خلافة عمر وعثمان وعلى ومعاوية ويزيد ومروان .

وأما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يكونوا يعظمون الصخرة فإنها قبلة منسوخة ".[1]

فصخرة بيت المقدس لايسن إستلامها ولا تقبيلها باتفاق المسلمين بل ليس للصلاة عندها خصوصية على سائر بقاع المسجد والصلاة والدعاء فى قبلة المسجد الذى بناه عمر بن الخطاب للمسلمين .[2]

---

(١) ابن تيميه : السابق ، ج٢٧ ص ١٢ .

(٢) السابق : ج ٢٧ ص ١٣٥ .

الفصل الثالث

عصر النبوة والخلافة الراشدة

- المسجد الأقصى قبلة الإسلام الأولى .
- الإسراء إلي المسجد الأقصى والمعراج منه .
- الفتح الإسلامي لبيت المقدس .
- عمر بن الخطاب والمسجد الأقصى .

المسجد الأقصى قبلة الإسلام الأولى

كان رسول الله ﷺ يصلى بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه ، فلما قدم المدينة وجه إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، ثم صرفه الله إلى الكعبة [1] ، روى البراء أن النبى ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار وأنه ﷺ صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة فداروا كما هو قبل البيت وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان ﷺ يصلى قبل بيت المقدس ، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك . [2] وكان قد نزل قوله تعالى : ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[3] ، وكان رسول الله ﷺ من قبل يدعوا ويتوجه إلى السماء فأنزل الله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [4] ، أما اليهود فارتابوا فى ذلك وأنكروه وقالوا ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ، فأنزل الله تعالى : ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [5] و " ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [6]

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ص ١٥٨ .

(٢) البخارى : الصحيح ، ج١ ص ٢٣ ، ص ١٥٥ رقم ٣٩٠ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٤٩ .

(٤) سورة البقرة : آية ١٤٤ .

(٥) سورة البقرة : آية ١٤٢ .

(٦) ابن كثير : السابق ، ج ١ ص ١٥٩ ، و ج٢ ص ١ وما بعدها ، والطبري : تفسير الطبري ، ج ١ ص ١٦٠ ، والآية من سورة البقرة رقم ١١٥ .

الإسراء إلى المسجد الأقصى والمعراج منه

قال ﷺ لما كان ليلة أسرى بى انتهيت إلى بيت المقدس فخرق جبريل الصخرة بإصبعه وشد بها البراق "[1] ثم جمع للنبى ﷺ وحدة الدين والرسالات ، وجمع له التاريخ والجغرافيا ، وذلك حيث جمع له الأنبياء والرسل الذين كانوا أئمة لأعصر التاريخ وأمكنته بدين واحد ورسالات متعددة ، فكان هو ﷺ إمام الأئمة وخاتمهم ، وشرف الله هذا المسجد الأقصى بجعله المكان الذى توحد فيه الدين والزمان والمكان معاً ، وحددت فيه علاقة محمد ورسالته بأنبياء الله ورسالاتهم ، وهى علاقة التبعية رغم الإنعكاس الزمنى لتلك العلاقة .

فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى ؛ فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثله قط ، قال فرفعه الله إلى أنظر إليه ما يسألونى عن شى إلا أنبأتهم به وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلى فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسى بن مريم – عليه السلام – قائم يصلى أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى وإذا إبراهيم – عليه السلام – قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم يعنى نفسه فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل يا محمد هذا ملك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فبدأنى بالسلام .[2]

وفى حديث جابر بن عبد الله ، يقول ﷺ " لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه " .[3]

---

(١) ابن حبان : صحيح ابن حبان ،ج ١ ص ٢٣٥ ، رقم ٤٧ .

(٢) مسلم : الصحيح ، ج ١ ص ١٥٦ ، رقم ١٧٢ .

(٣) البخارى : الصحيح، ج ٣ ص ١٤٠٩ ، رقم ٣٦٧٣ ، ورقم ٤٤٣٣ ، ومسلم : الصحيح ، ج١ ص ١٥٦ ، رقم ١٧٠ .

الفتح الإسلامى لبيت المقدس

بعد أن مكن الله للمسلمين بقيادة أبي بكر الصديق في إخماد فتنة الردة ووأدها بعد أن ظهرت وتفاقم خطرها فى كل جزيرة العرب تقريبا ما عدا المدينة وبعض الأماكن القليلة الأخرى ، بعد ذلك وجه أبو بكر بعض الجيوش إلى بلاد العراق بقيادة خالد بن الوليد وعياش بن غنم [١] ، حيث زاد اعتداء الفرس على المسلمين الذين كانوا على مقربة من حدود فارس ، وعلى رأسهم المثنى بن حارثة الشيبانى [٢] وقد كان سير هذه الجيوش إلى العراق فى المحرم [١٢هـ - ٦٣٣م].[٣]

وبعد قرابة عام من هذا التاريخ ، وامتدادا لنشر رسالة السماء التى كُلف المسلمون بتبليغها بعد نبيهم على الوجه الذي علمهم القرآن إياه ورأوا الرسول بفعله ، حيث : ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [٤] ، ولكن: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [٥] وبعد ذلك :﴿مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [٦] .

وجه أبو بكر الصديق من تقدم إليه - بعد عودته - إلى الشام لتبليغ هذه الرسالة ، ولرفع الظلم الذى كان يرضخ تحته شعوب تلك البلدان من قبل البيزنطيون الذين استوطنوا الشام وشمال إفريقيا واستعبدوا أهلها ونهبوا ثرواتها بل إنهم نكلوا بكل من خالفهم المذهب فى إطار الديانة الواحدة .

---

(١) الطبرى : تاريخ الطبرى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٧٧ / ١٩٧٩م ،ج ٣ ص ٣٧٢ .

(٢) الواقدى : كتاب الردة ، تحقيق د. محمد عبد الله أبو الخير ، دار الفرقان - الأردن - بدون سنة الطبع ، ص ٣٢٢ - ٣٢٥ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٦ ص ٨٩٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٥٦ .

(٥) سورة المائدة : أية ٦٧ .

(٦) سورة الكهف : آية ٢٩ .

أقام المسلمون فى معسكر بالجرف – خارج المدينة – طوال شهر المحرم [١٣هـ / ٦٣٤م] ، وأبو عبيدة يصلى بهم ، وفى مستهل صفر عقد أبو بكر الألوية [١] ، وجاء ترتيب سيرهم كالآتى :–

الأول : يزيد بن أبى سفيان .

الثانى : شرحبيل بن حسنة ، بعد يزيد بثلاثة أيام .

الثالث : أبو عبيدة بن الجراح . [٢]

ثم أمد أبو بكر هؤلاء بعمرو بن العاص ، ثم أمدهم بخالد بن الوليد من العراق ، وقد سمى أبو بكر لكل أمير من هؤلاء منطقة معينة ، فسمى ليزيد بن أبى سفيان دمشق ، ولشرحبيل الأردن ، ولأبى عبيدة حمص ، أما فلسطين فكانت من نصيب عمرو بن العاص وعلقمة بن مجزر . [٣]

انطلقت تلك الألوية أو الجيوش إلى الشام وأخذت فى تنفيذ رسالتها ، وفى جمادى الآخرة – لثمان بقين منه – [١٣هـ / ٦٣٤م] توفى الخليفة أبو بكر الصديق [٤] – تولى بعده عمر بن الخطاب – رضى الله عنهما – وتابعت الجيوش مهمتها مستكملة ما ابتدأته فى عهد الخليفة السابق ، وكانت مدينة بيت المقدس قد امتنعت على عمرو بن العاص ، فقدم إليها أبو عبيدة بن الجراح فطلب أهلها منه أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشام ، وأن يتولى العقد عمر بن الخطاب ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك ، فسار عمر إليه ، وفى الجابية انضم عمرو ابن العاص وشرحبيل بن حسنة إلى عمر بن الخطاب ، حيث جرى الصلح هناك .

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ١١٦ .

(٢) الأزدى : تاريخ فتوح الشام ، تحقيق عبد المنعم عبدالله عامر – مؤسسة سجل العرب – ١٩٧٠م، ص ١٤ – ١٥ .

(٣) الطبرى : تاريخ الطبرى ، ج ٣ ص ٣٩٤ .

(٤) البخارى : التاريخ الصغير ، ج ١ ص ٣٢ ، والبلادرى : جمل من أنساب الأشراف ، تحقيق د. سهير زكار وآخر ، دار الفكر – بيروت – ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ج ١٠ ص ٩١ ، وابن كثير : البداية والنهاية ،ج ٧ ص ٢٥ .

وهناك قدم بطريق بيت المقدس سفرونيوس (Sophronius) فرحب بعمر بن الخطاب ، وطلب منه أن يقبل منهم الصلح على أن يعطوه الجزية وأن يعطيهم الأمان على دمائهم وأموالهم وكنائسهم فأجابهم عمر بن الخطاب إلى ذلك ، وكتب كتاب الأمان والصلح لجميع نواحى إيليا – بيت المقدس ولأهل إيليا، وهذا نصه :

" بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبرئيها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شئ من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شئ حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا اعطوا الذى عليهم من الجزية ، شهد على ذلك : خالد بن الوليد ، وعمرو ابن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وكتب سنة [١٥هـ/ ٦٣٦م]. (١)

(١) الطبرى : تاريخ الطبرى ، ج٣ ص ٦٠٩ .

عمر بن الخطاب والمسجد الأقصى

أما عمر بن الخطاب فإنه بعد أن تم فتح المدينة وكتابة عهد الأمان توجه إلى المسجد الأقصى فدخل من الباب الذى دخل منه رسول الله ﷺ كما يقول ابن كثير ، وصلى فيه تحية المسجد فى محراب داود ، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد ... ثم جاء إلى الصخرة ، وذكر ابن كثير قصة إزالة عمر بن الخطاب والمسلمين معه لما علق بالصخرة من الأقذار والمخلفات من فعل الروم ، وذكر أن فعل الروم هذا الأمر كان سببه أنها قبلة اليهود ، وبلغ من فعلهم أن المرأة كانت ترسل خرقة حيضها من داخل الحوز لتلقى بها في الصخرة ، وذلك مكافأة لما كانت اليهود عاملت به قمامة ، حيث كانت تلقى فى هذا المكان القمامة مكان المصلوب – حسب اعتقادهم – فانسحب الاسم على الكنيسة التى بنيت هناك كما ذكر ان ابن عساكر استقصى ذلك فى كتابه " المستقصى فى فضائل الأقصى " . (١)

وفى رواية ابن خلدون وغيره أن عمر سأل عن الصخرة فأرى مكانها وقد علاها الزِّبْلُ والتراب فكشف عنها وبنى عليها مسجداً على البداوة (٢) وهذا مخالف لما ذكره الكثيرون من أن المسجد بنى بجوارها وليس عليها، بينما يذكر سعيد بن البطريق أن عمر قال لسفرونيوس : قد وجب لى عليك حق الزمام فاعطنى موضعاً أبنى فيه مسجداً فقال له البطريك ، أنا أعطى أمير المؤمنين موضعاً يبنى فيه مسجداً عجز ملوك الروم عن بنائه ، وهى الصخرة التى كلم الله يعقوب عليها ، فأخذ بيد عمر حتى وقف عند الصخرة فأخذ عمر ومن معه من المسلمين فى إزالة ما على الصخرة من التراب والقاذورات (٣) ثم بنى عمر المسجد بجوار الصخرة .

وكان الروم لما اعتنقوا المسيحية ، وبنت هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين الكنائس فى بيت المقدس كان موضع الصخرة وما حولها خراب (٤) فتركوها على حالها بل ورموا عليها الصخرة

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ،ج ٧ ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ،ص ٣٩٣ .

(٣) سعيد بن البطريق : كتاب التاريخ ، ج ٢ ص ١٧ ، عن إتحاف الأخصا ، ج ٢ ص ١٧٦.

(٤) البكرى : معجم ما استعجم ،ج ٢ ص ٥٩٩ ، عن إتحاف الأخصا ، ج ٢ ص ١٧٧.

التراب ، حتى صار فوقها مزبلة عظيمة وهكذا نرى أن الروم لم يعظموا الصخرة ولم يبنوا عليها الكنيسة . (١)

ويروي شمس الدين السيوطي كيفية صلاة عمر هناك وموقفه من الصخرة فيقول : " إن عمر لما شخص من الجابية إلى إيليا قصد محراب داود – ـ عليه السلام ـ – ليلاً ، فصلى فيه ولم يلبث أن طلع الفجر فأمر المؤذن بالإقامة وتقدم وصلى بالناس وقرأ بهم (ص) وسجد فيها ... ثم انصرف فقال عليٌ بكعب – كعب الأحبار – فأتى به فقال أين ترى نجعل المصلى فقال إلى الصخرة فقال ضاهيت والله اليهودية يا كعب بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله ﷺ قبلة مساجدنا صدورها أذهب أو قال إليك فإنا لم نؤمر بالصخرة ولكن أمرنا بالكعبة ، وفى رواية قال عمر لكعب أين ترى أن أصلى قال إن أخذت عنى صليت خلف الصخرة فكان القدس كلها بين يديك يعنى المسجد الحرام فقال ضاهيت اليهودية ، ولكن أصلى حيث صلى رسول الله ﷺ ليلة أُسرى به فتقدم إلى قبلة المسجد فصلى ثم جاء فبسط رداءه فكنس الكناسة بردائه وكنس الناس معه . (٢)

وبناء على ما تقدم يمكننا القول إن عمر بن الخطاب هو أول من وضع بناءً فى المسجد الأقصى فى الإسلام بعد أن عنى به ونظف صخرته بردائه ، وأول من صلى فيه بعد النبى ﷺ إلا أن المسجد الأقصى بإطاره العام هو مسجد إسلامى حتى قبل عهد عمر ، وقبل مسرى النبى ﷺ إليه ومعراجه منه ، فقد جاء التعبير عنه بـ " المسجد الأقصى " فى القرآن الكريم ، ولفظ مسجد لفظ إسلامى بحت ، وقد انسحب عليه هذا الاسم منذ وضعه كما جاء فى حديث البخارى ومسلم – الذى سبق ذكره – حيث سئل النبى ﷺ عن أول مسجد وضع فى الأرض فأجاب ﷺ بأنه المسجد الحرام ، ثم المسجد الأقصى ، وكان بينهما أربعون سنة ، فقد وضع ليكون مسجداً ، وقد كان المسجد على وقت الإسراء والمعراج عبارة عن فناء به أطلال قديمة يحيط بها سور كما ذكر المؤرخون .

---

(١) د. أحمد رمضان احمد : ضمامة (١) ضمن كتاب اتحاف الأخصا ، قسم ٢ ص ١٧٦ ، عن :

Devogue : Le Tample de Jerusalem , P.٧٢ paris ١٨٦٤ ,

Gtldmeister : Die Arabischen Nach richten Zur Geschichte der Harmbauten X١١١ .

(٢) إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ، القسم الأول ص ٢٤٠ – ٢٤١ .

الفصل الرابع

العصر الأمـــوي

- مسجد قبة الصخرة .
- سبب بناء المسجد .
- رعايته وتزيينه .

مسجد قبة الصخرة

أما العصر الأموى فقد شهد أعظم بناء داخل المسجد الأقصى [1]، هذا البناء الذى شيد على

---

(١) الذى عليه جل المؤرخين والعلماء عموماً هو أن عبد الملك بن مروان هو الذى بنى مسجد قبة الصخرة وهذا نراه فى أقوالهم هم مثل قول شهاب الدين المقدسى " قال العلماء : بنى عبد الملك بن مروان رحمه الله مسجد بيت المقدس سنة [٧٠هـ / ٦٩١م] وحمل إلى بنائه خراج مصر سبع سنين ، وقال سبط بن الجوزى فى كتاب مرآة الزمان : ابتدأ بنائه فى سنة [٦٩هـ / ٦٩٠م] وفرغ منه سنة [٧٢هـ / ٦٩٣م] (شهاب الدين المقدسى : مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام (مخطوط) ، مكتبة رفاعة الطهطاوى بسوهاج – مصر – رقم ١٦٠ (تاريخ) ، ورقة ٣٩) .

لكن هناك من خالف ذلك ومثل رأيا – وإن كان ضعيفاً ضئيلاً – كما يبدو ، إلا أن بعض المحدثين فصل ذلك إذ قال : انقسمت آراء المؤرخين المسلمين ، وغير المسلمين إلى ثلاثة أقسام ، القسم الأول منهم المقدسى وابن عساكر وأبو المحاسن بن تغرى وبجير الدين العليمى ومن غير المسلمين فوج ، وبيدكر ، ذهب فريق منهم إلى القول بان الخليفة عبد الملك بن مروان هو الذى بنى المسجد الأقصى ، وأضاف الآخرون منهم أان عبد الملك قد بنى مسجدا صغيرا ملحقا إلى مسجد عمر بن الخطاب – وفى نفس المكان – على أنقاض الكنيسة التى كان قد أقامها الأمبراطور جستنيان للسيدة العذراء ،

أما الفريق الثانى من المؤرخين ، مثل ابن البطريق ، وابن الفقيه ، ومعهم العالم الأثرى كريسول فيقولون بأن الذى أقام المبنى الثانى للمسجد الأقصى فى العصر الأموى ، كان الوليد بن عبد الملك وليس والده عبد الملك ، وقد اعتمد كريسول فى قوله هذا على ما عثر عليه من وثائق مكتوبة على ورق البردى فى مقاطعة تى بالفيوم ، فقد جاء فى الوثيقة رقم (١٤٠٣) ، ورقم (١٤١٤)، ورقم (١٤٣٥) أن والى مصر قره بن شريك أرسل بنائين وعمال مهره فى المعاونة فى بناء المسجد الأقصى لمدة اثنى عشر شهرا وذلك سنة [٩٧هـ/ ٧١٥ – ٧١٦م]).

وقد وصل الفريق الثالث إلى رأى وسط بين الرأيين السابقين ، إذ قالوا بأن عبد الملك بن مروان هو الذى أمر ببناء مسجد بجوار مبنى عمر بن الخطاب لكن البناء لم يتم إلا فى عهد والده الوليد بن عبد الملك .

وفى رأينا – كما يقول الكاتب – أن القول الأخير هو أقرب الآراء إلى الصواب خاصة إذا عرفنا أن الخليفة عبد الملك هو الذى أنشأ قبة الصخرة ، تلك الدرة فى جبين العمارة الإسلامية فكيف له أن يترك المسجد الأقصى كما بناه عمر بن الخطاب صغيراً متواضعاً ، وهو يكاد يكون ملاصقاً لقبة الصخرة ، هذا وقد عنى الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك عناية خاصة بالمسجد الأقصى لمكانته عند المسلمين وفى ذلك يقول إبراهيم بن أبى عبلة التابعي المقدسى : كان الوليد يعطينى قصاع الفضة أقسمها على قراء مسجد بيت المقدس ، كذلك أبقى خلفاء بنى أمية يجلون بيت المقدس ومسجده ويتبركون بزيارته ، فقد حدث عندما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة ، أتى بيت المقدس ، وأتته الوفود بالبيعة ، وكان يجلس فى صحن حرم بيت المقدس فيما يلى الصخرة فيدخل الناس إليه

صخرة ترتبطت بذكريات دينية لبعض رسل الله وأضحت لها أهمية دينية عند بعض الناس لا سيما اليهود ، وهذا البناء قد بلغ من الجمال والفخامة وبذل فيه من المال ، بما جعله محط رحال القادمين إلى الشام وإلى فلسطين خاصة، بل قصده الناس من أقاصي الأماكن ليمتع الجمع نظرهم برؤيته ولينالهم من بركته ما قدروا عليه ، ولشاهدوا زينة وزخرفاً وفخامة لم يشاهدوها من قبل ، وهم فى نفس الوقت يحققون هدفاً دينياً سامياً وهو زيارة أولى القبلتين ، ومسرى رسول الله ﷺ وموطن الكثير من أنبياء الله ورسله ، وقد كتب عنه المؤرخون ووصفه الرحالة والجغرافيون وتغنى به الشعراء والواصفون ، وسوف أعرض – لاحقاً – قطعاً من هذا وذاك ، ولكن بين يدى ذلك ، نحاول الاقتراب من واقع التاريخ لهذا المسجد – مسجد قبة الصخرة – فى مرحلة البناء ، وهى أولى مراحل تاريخه ، ومع أن المؤرخين والواصفين كثيرون ، فإنى آثرت أن أنقل رواية لواحد من أبرزهم إتزاناً ونقداً وهو مفسر ومحدث وفقيه ومؤرخ ، ولهذا التعدد دلالاته ، وقد يبدو فى روايته شيئاً تمتعض له بعض النفوس وتنأى عن تناوله الكثير من الأقلام ، لكن الأمانة العلمية تقتضى معرفة رأيه وبسطه ، ولا يضير ذلك المسجد شيئاً ولا يؤثر على تاريخه فالسبب وإن كان غير مقبول ، فإنه لم يضر ، أو لم يضر كثيراً فى حينه أما فى لاحقه فكان نفعه كبيراً ، هذا فضلاً عن أن البعض ينفى السبب كلية ، ويرى أن السبب الحقيقى هو بناء مبنى يضاهى ما كان للنصارى آنذاك فى هذا المكان أو يزيد عليه ، وكذلك يحمى المسلمين من الحر والبرد ، وما ذهب إليه ابن كثير أكده – إجمالاً – وأحد من أكبر علماء الإسلام قاطبة وهو ابن تيمية وذلك عرضاً أثناء تناوله لزاوية أخرى فى هذا العمل الإسلامى الكبير .

يقول ابن كثير إن عبد الملك بن مروان ابتدأ ببناء القبة على صخرة بيت المقدس فى سنة [٦٦هـ/٦٨٦م] وكذلك عمارة المسجد الأقصي وكملت عمارته فى سنة [٧٣هـ /٦٩٢م].

لقضاء حوائجهم وكان سليمان قد هم بالاقامة فى بيت المقدس واتخاذها مزلا وعاصمة لدولته بدلا من دمشق ، (د . أحمد رمضان أحمد ، ضمامة (١) ، اتحاف الأخصا – القسم الأول ص ١٧٩ – ١٨٠) .

سبب بناء المسجد

أما عن سبب بناء عبد الملك لقبة الصخرة وعمارة الأقصى ، فيقول ابن كثير إن عبد الله بن الزبير كان قد استولى على مكه وكان يخطب فى أيام منى وعرفة ومقام الناس بمكة وينال من عبد الملك ويذكر مساوى بنى مروان ويقول إن النبى ﷺ لعن الحكم وما نسل وأنه طريد رسول الله ﷺ ولعينه ، وكان يدعو إلى نفسه وكان فصيحاً فمال معظم أهل الشام إليه وبلغ ذلك عبد الملك فمنع الناس من الحج فضجوا فبنى القبة على الصخرة والجامع الأقصى ليشغلهم بذلك عن الحج ويستعطف قلوبهم وكانوا يقفون عند الصخرة ويطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة وينحرون يوم العيد ويحلقون رؤسهم ففتح بذلك على نفسه بأن شنع ابن الزبير عليه بمكة ويقول ضاهى بما فعل الأكاسرة فى إيوان كسرى والخضراء كما فعل معاوية .

ولما أراد عبد الملك عمارة بيت المقدس وجه إليه بالأموال والعمال ووكل بالعمل رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام مولاه وجمع الصناع من أطراف البلاد وأرسلهم إلى بيت المقدس وأرسل إليه بالأموال الجزيلة وأمر رجاء ابن حيوة ويزيد أن يفرغا الأموال إفراغاً ولا يتوقفا فيه فبثوا النفقات وأكثروا فبنوا القبة فجاءت من أحسن البناء وفرشاها بالرخام الملون وعملا للقبة جلالين أحدهما من اليود الأحمر للشتاء ، وآخر من آدم للصيف وحفا القبة بأنواع الستور وأقاما لها سدنة وخداما بأنواع الطيب والمسك والعنبر والماورد والزعفران ويعملون منه غالية ويبخرون القبة والمسجد من الليل ، وجعل فيها من قناديل الذهب والفضة والسلاسل من الذهب والفضة شيئاً كثيراً وجعل فيها العود العمارى ... ولم يكن يومئذ على وجه الأرض بناء أحسن ولا أبهى من قبة صخرة بيت المقدس بحيث إن الناس التهوا بها عن الكعبة والحج وبحيث كانوا لا يلتفتون فى موسم الحج وغيره إلى غير المسير إلى بيت المقدس وافتتن الناس بذلك افتتانا عظيماً وأتوه من كل مكان ، وقد عملوا فيه من الإشارات والعلامات المكذوبة شيئاً كثيراً مما فى الآخرة فصوروا فيه صور الصراط وباب الجنة وقدم رسول الله ﷺ ووادى جهنم وكذلك فى أبوابه ومواضع منه فاغتر الناس بذلك إلى زماننا ، وبالجملة إن صخرة بيت المقدس لما فرغ من بنائها لم يكن لها نظير على وجه الأرض .

ثم ذكر ابن كثير أنه بقي من المال المرصود لهذا البناء ستمائة ألف مثقال وقيل ثلاثمائة ألف ، وأن رجاء ابن حيوة ويزيد أبيا أن يأخذوه بأمر الخليفة ، وعندئذ أمرهما بصبه على القبة والأبواب فلم يستطع أحد التأمل فى القبة أو الأبواب من ذلك . (١)

أما ابن تيمية فيقول : " لما تولى عبد الملك الشام ووقعت بينه وبين ابن الزبير الفتنة كان الناس يحجون فيجتمعون بابن الزبير فأراد عبد الملك أن يصرف الناس عن ابن الزبير فبنى القبة على الصخرة وكساها فى الشتاء والصيف ليرغب الناس فى زيارة بيت المقدس ويشغلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير ." (٢)

أما الاتجاه الثانى فيرى أن بناء مسجد قبة الصخرة كان بدافع كونه مسجداً ، ثم مكانا يقى المسلمين الحر والبرد وهو ما روى عن عبد الملك بن مروان نفسه ، وقد نقل المؤرخون عنه ذلك .

وثمة تفصيلات جاءت مصاحبة لعرض هذا الاتجاه تخص البناء وما بذل به من جهد وما وضع فيه من زينة ، وصفها المؤرخون بدقة ، يحسن ذكرها .

فقد قدم عبد الملك بن مروان من دمشق إلى بيت المقس ، وكتب الكتب إلى جميع الأمصار – كما جاء فى رواية رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام مولى عبد الملك بن مروان من أهل بيت المقدس – وجاء فى كتاب عبد الملك : " أن عبد الملك قد أراد أن يبنى قبة على صخرة بيت المقدس تُكِنّ المسلمين من الحر والبرد ، والمسجد ، فكره أن يعمل ذلك دون راى رعيته ، فلتكتب الرعيه برأيهم وما هم عليه " فوردت الكتب عليه : " يرى أمير المؤمنين رأيه موفقا رشيداً ، نسأل الله – تعالى – أن يُتم له ما تولى من بناء صخرته ومسجده ، ويجرى ذلك على يديه ، ويجعله مكرمة له ولمن مضى من سلفه " .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج، ٨ ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

(٢) ابن تيمية : كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية ، ج ٢٧ ص ١٢ .

فشرع عبد الملك فجمع الصناع من جميع عمله كله ، وأمرهم أن يصفوا القبة وسمتها من قبل أن يبنيها ، ففعل له ذلك ، ثم أمر بإنشاء بيت مال شرقى الصخرة وملأه بالأموال ، ووكل رجاء بن حيوه ويزيد بن سلام على هذا العمل المبارك ، وأمرهما أن يفرغا عليه من المال إفراغاً ، فأخذا فى البناء والعمارة حتى أحكم وفُرغ من البناء ، ولم يبق لمتكلم فيه كلام ثم كتبا إلى عبد الملك بدمشق فاعلماه بذلك ، وأعلماه أن هناك مائة ألف دينار قد تبقت من ميزانية العمل ، فأمر عبد الملك بها جائزة لهما ، لكنهما رفضا ذلك ، فأمر بأن تسيك وتفرغ على القبة ، ففعلا ذلك فما استطاع أحد أن يتأملها مما عليها من الذهب ، كما جاء فى الرواية " . (١)

رعايته وتزيينه

وقد جاء التفصيل فى الروايات عما كان بمسجد الصخرة من الرعاية والعناية حيث الخدم الكثير الذين يقومون بآنية البخور ومجامر الذهب والفضة والعود المطوى بالعنبر والمسك ، وحيث الستور ومخامتها ، والعناية بالمصلين وخدمتهم ، والحجب على الأبواب بمتوسط عشرة على كل باب . (٢)

وتذكر الروايات أن عبد الملك بن مروان قد رصد لبناء قبة الصخرة ومسجد بيت المقدس خراج مصر سبع سنين ، وعند سبط بن الجوزى أنه ابتدأ بنياته سنة [٦٩هـ /٦٨٨م] وفرغ منه سنة [٧٢هـ/ ٦٩١م] (٣) وقد جاء فى وصف المسجد وقبة الصخرة أنه : كان فيه فى ذلك الوقت من الخشب " المسقف" ستة آلاف خشبة ، وفيه من الأبواب خمسون باباً ، ومن العمد ستمائة عمود رخامى ، " سوى الآبار " ، وفيه من المحاريب سبعة ، ومن السلاسل للقناديل أربعمائة سلسلة : ثمانون سلسلة فى المسجد ، والباقى فى قبة الصخرة ، وذُرع السلاسل أربعون ألف ذراع ، ووزنها ثلاثة وأربعون ألف رطل بالشامى ، وفيه من القناديل خمسة آلاف قنديل ،

---

(١) ابن المرجى المقدسى ، فضائل بيت المقدس والخليل ــ عليه السلام ــ وفضائل الشام ، ص ٢٢٤ ــ ٢٢٥ ، ضمن " فضائل بيت المقدس" .

(٢) السابق، ص ٢٢٧ .

(٣) شمس الدين السيوطى : إتحاف الأخصا ، القسم الأول، ص ٣٤١ .

وكان يسرج فيه مع القناديل " ألفا " شمعة فى " ليالى الخير " ، وفى نصف رجب وشعبان ، وفى ليلتى العيدين ، وفيه من القباب خمس عشرة قبة سوى قبة الصخرة ، وعلى سطح المسجد مُلبسٌ من شُقاق الرصاص : سبعة آلاف شُقة وسبعمائة شقة ، وزن الشقة سبعون رطلا بالدمشقى ، غير الذى على قبة الصخرة ، كل ذلك عُمل فى أيام عبد الملك بن مروان ، ورتب له من الخدم القوام ثلاثمائة خادم ... ، وفيه من الصهاريج للماء ، أربعة وعشرون صهريجا كبار وفيه من المنابر أربعة : ثلاثة منها فى صف واحد غربى (المسجد) وواحد على باب الأسباط ، وكان له من خدم اليهود ، لا يؤخذ منهم جزية ، عشرة رجال ، وتوالدوا فصاروا عشرين رجلا ، لكنس أوساخ الناس فى المواسم والشتاء والصيف ، ولكنس المطاهر " التى " حول الجامع ، وله من الخدم النصارى عشرة أهل بيت ، يتوارثون خدمة البيت لعمل الحُصُر ، وكنس حُصُر المسجد ، وكنس القنى التى تجرى إلى صهاريج الماء وكنس الصهاريج أيضا ، وغير ذلك من الخدم اليهود ، جماعة يعملون الزجاج للقناديل ، والأقداح " والبزاقات " وغير ذلك ، لا يؤخذ منهم جزية ، وكذلك لا تؤخذ جزية من الذين يقومون بالسراقة للفتل التى للمصابيح " جاريا" عليهم وعلى أولادهم أبدا ، ما داموا ، من عهد عبد الملك بن مروان إلى الآن ، وطول المسجد سبعمائة ذراع وخمسة وخمسون ذراعا بذراع الملك ، وعرضه أربعمائة ذراع وخمسة وستون ذراعاً بذراع الملك أيضا ، كما أن الأبواب كانت ملبسة ذهباً وفضة [1] بينما يذكر القزوينى أن طول المسجد ٧٨٤ ذراعاً ، وعرضه ٤٥٥ ذراعاً.[2]

---

(١) ابن المرجى المقدسى : فضائل بيت المقدس والخليل ،ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٢) القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ــ بيروت ــ ص ١٦٢ .

الفصل الخامس

المسجد الأقصى خلال العصر العباسي وعصور الفاطميين والأيوبيين والمماليك

- إعمار المسجد وترميمه .
- الصليبيون والمسجد الأقصى .
- جهود الأيوبيين والمماليك تجاه المسجد الأقصى .

العباسيون والفاطميون

كان المسجد الأقصى فى بداية العهد العباسى قد ناله الكثير من الخراب من جراء الأحداث الطبيعية كالزلزل ، والبشرية أيضا ، ففى رمضان [١٣٠هـ / ٧٤٨م] ـ نهاية العصر الأموى ـ حدث زلزال أضر بشرقى المسجد وغربيه[١] ولم يكن الأمويون فى هذه الأثناء على استعداد لترميم المسجد أو الاهتمام به ، حيث كانت دولتهم فى طور الاحتضار وفى طريق الأفول المشرقى قبل أن تبزغ شمسها فى المغرب الإسلامى " الأندلس " ببضع سنين ، وعندما جاءت الدولة العباسية وفى عهد ثانى خلفائها المنصور حدثه الناس بما لحق بالمسجد من أضرار وذلك فى سنة [١٤٠هـ /٧٥٧م] حيث كان قد قدم إلى القدس وأحثوه على بناء المسجد وعمارته ، لكن أبا جعفر لم يكن لديه من المال ما يكفى ذلك ، فأمر بنزع صفائح الذهب والفضة التى كانت على الأبواب ، وضربها دنانير ودراهم ، حيث يُنفق على بناء المسجد وعمارته منها [٢] ، لكن لم يلبث أن عاد الزلزال مرة أخرى فهدم ما بناه أبو جعفر ، ولما تولى المهدى رفع الأمر إليه فقال – فيما يرويه بعض المؤرخين – " دقّ هذا المسجد وطال وخلا من الرجال : انقصوا من طوله ، وزيدوا فى عرضه " فبنى المسجد فى عهده . [٣]

ويفصل لنا المقدسي إعمار المسجد في عهد بني العباس بعد تلك الزلازل مقدما موقع المسجد ووضع داود ـ عليه السلام ـ له وعمل عبدالملك بن مروان فيه فيقول : " وأما المسجد الأقصى فهو على قرنة البلد الشرقي نحو القبلة ، أساسه من عمل داود ، طول الحجر عشرة أزرع وأقل ، منقوشة موجهة مؤلفة صلبة ، وقد بنى عليه عبدالملك بحجارة صغار حسان وشرفوه وكان أحسن من جامع دمشق لكن جاءت زلزلة في دولة بني العباس فطرحت المغطى إلا ما حول المحراب ، فلما بلغ الخليفة خبره قيل له لا يفي برده إلي ما كان بيت مال المسلمين ، فكتب إلي

---

(١) ابن المرجى المقدسى : فضائل بيت المقدس والخليل، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٨ ص٢٨١ .

(٣) ابن المرجى المقدسى : السابق ،ص ٢٣٠ .

أمراء الأطراف وسائر القواد أن يبني كل واحد منهم رواقاً ، فبنوه أوثق وأغلظ صناعة مما كان عليه ، وبقيت تلك القطعة شامة فيه ، وهي إلي أحد أعمدة الرخام " [1].

وقد ذكر الذهبي أنه فى سنة [٤٠٤هـ /١٠١٣م] " وقعت القبة التى على صخرة بيت المقدس " [2] ، وفى سنة [٤٢٥هـ/١٠٣٣م] وقع زلزال فى مصر والشام فسقط بعض حائط بيت المقدس ووقعت قطعة كبيرة من محراب داود ــ عليه السلام ــ كذلك سقطت قطعة من مسجد إبراهيم [3] ، وفى شوال من العام التالى مباشرة [٤٢٦هـ /١٠٣٤م] حدث زلزال آخر بأرض فلسطين فأصاب – مما أصاب – صخرة بيت المقدس فانشقت ثم عادت فالتأمت ، هذا ما يقصه لنا ابن كثير من أحداث المسجد فى تلك الفترة [4] .

ولما كانت القدس آنذاك تابعه لمصر التى يحكمها الفاطميون فقد تولى بعض حكام مصر من الفاطميين ترميم وإعمار بعض ما لحق بالمسجد من خراب ، ومن ذلك ما قام به الملقب بالظاهر لاعزاز دين الله الذى حكم مصر بعد أبيه الملقب بالحاكم بأمر الله ، وذلك فى الفترة التى حكم فيها والتى امتدت من [٤١١ – ٤٢٧هـ / ١٠٢٠ – ١٠٣٥م] .

وقد توالت يد التجديد والترميم للمسجد الأقصى فى العصر الفاطمى فقد جدد الخليفة المستنصر بالله سنة [٤٤٨هـ / ١٠٦٦م] الحائط الشمالى من المسجد وكذا الأورقة المتصدعة ، وقد أثبتت الدراسات المعمارية التى أجريت للمسجد الأقصى فى العصر الحديث أن البناء الموجود حاليا ، إنما يرجع الجزء القديم منه إلى عهد الخليفة المهدى العباسى سنة [١٦٣هـ / ٧٧٩م] وأن ما أجذى له فى العهد الفاطمى هو إضافة رواقين من الجانبين فأصبح المسجد يحتوى على سبعة أروقة ، وهو ما عليه المسجد الحالى . [5]

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٦٨ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ومحمد نعيم العرقوسى ، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٣هـ ، ج ١٥ ص ١٣٤ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢ ص ٣٦ .

(٤) السابق ، ج ١٢ ص ٩٦ .

(٥) د. أحمد رمضان أحمد : ضمامة (١) ضمن اتحاف الأخصا ، قسم ٢ ص ١٨٣ .

الصليبيون والمسجد الأقصى

كانت الحروب الصليبية على الإسلام أكبر حروب شنها الإنسان باسم الدين ، وهو منها براء ، وهى الحروب التى قتل فيها الصليبيون عشرات بل مئات الآلاف من المسلمين وغيرهم باسم هذا الدين والتهموا الكثير من المدن الكبرى والصغرى ونهبوها وخربوها وأفسدوا دور العبادة فيها الإسلامية ، والمسيحية أحيانا مثلما فعلت الحملة الرابعة فى القسطنطينية وغير ذلك مما دونه لنا التاريخ بأقلام المعاصرين المشاركين واللاحقين فى مئات المجلدات ، وبعشرات اللغات فى واحدة من أكبر حركات التأليف والترجمة حول موضوع ما فى التاريخ البشرى.

وفى أولى حملات تلك الحروب ، استولى الصليبيون على مدينة من أهم مدن العالم وأقدسها وهى بيت المقدس فخربوها ، وقتلوا أهلها جميعاً وحولوا مسجدها إلى كنيسة واصطبلاً للخيول ، وفيما يأتى تفصيل لما يخص الدراسة .

تانكرد ومذبحة المسجد الأقصى

فى أثناء هذه المذابح التى تقشعر لها الجلود وتشيب لها الرؤوس هرع من نجا من المذابح من المسلمين داخل المدينة ، إلى المسجد الأقصى ، لعلهم يجدون فيه منجى ، ولعل الغزاة يراعوا له حرمة ، باعتباره مكان عبادة ، لكنهم – المسلمون – لم يجدوا من ذلك شيئاً ، وعلى العكس فقد أدى هذا إلى تجمعهم وسهل على أعدائهم الاجهاز عليهم ، وكان بطل هذه المذبحة تانكرد ، ويروى وليم الصورى توضيحاً لهذا فيقول : فر الجانب الأكبر من الناس إلى فناء المسجد لوقوعه فى موضع قاص من المدينة وكان محصناً أشد التحصين بسور وأبراج وأبواب ، لكن فرارهم إلى هناك لم يسعفهم بالخلاص ، إذا سرعان ما اقتفى تانكرد أثرهم على رأس معظم رجال الجيش الذين اقتحم بهم المسجد وأعمل مذبحة شرسة حمل بعدها معه – كما يقول الخبر – كميات كبيرة من الذهب والفضة والجواهر ، إن الكثيرين قد فروا إلى أطراف المسجد الطاهر ، فأسرعوا كما لو كانوا على اتفاق فيما بينهم وانطلقوا يتعقبونهم ، ودخل المسجد حشد من الفرسان والمشاة فذبحوا

ذبح الشاة كل من لجأ إلى هنا يبتغى الحماية ، وأعملوا القتل فيهم لم تأخذهم رحمة بأحد ما ، حتى فاض المكان بدماء الضحايا " [1].

ويقول ريموند جيل : " فيكفى أن أحكى أنه فى المسجد وفى الرواق خاض الصليبيون بخيولهم فى الدم الذى وصل إلى ركبهم وسروج خيولهم ، وفى رأى أن هذه عدالة إلهية تتمثل فى أن يتلقى معبد سليمان دم المسلمين الذين سبوا الرب هناك لسنوات كثيرة ، وأمتلئت بيت المقدس الآن بالجثث وتلطخت بالدماء ... وكان يوماً جديراً وسعادة جديرة وفرحاً دائماً وتحقيقاً لكدنا وحبنا ، جلب كلمات وترانيم جديدة للجميع ، إن هذا اليوم سيوخلد على مدى القرون ... "[2].

ومن المعروف أن الصليبيين قد اتخذوا المسجد الأقصى ، بعد ذلك لأغراضهم الخاصة ، إذ قسموه إلى ثلاثة أقسام ، قسماً جعلوه كنيسة ، وآخر جعلوه مسكناً لفرسان الهيكا ، والثالث استعملوه مستودعاً لذخائرهم ، واتخذ السراديب الذى تحت المسجد إسطبلاً لحيواناتهم ، أما قبة الصخرة فقد حولوها إلى كنيسة .

إحصائية القتلى المسلمين

يمكن القول إنه ليس ثم تباين فى تقدير عدد القتلى ، وهم بالطبع مسلمون ، إذ أن معظم المؤرخين يقدرونهم بـ (٧٠) سبعين ألفاً ، وهم سكان المدينة آنذاك باستثناء القلى القليلة التى نجت مع " افتخار الدولة " إلى عسقلان ، أما متى الرهاوى ، هو مؤرخ أرمنى فقد قدر العدد بـ (٥٠) خمسين ألفاً بينما نجد وليم الصورى يقدرهم بنحو (٢٠) عشرين ألفاً . [3]

---

(١) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ج ٢ ص ١٢٥ وما بعدها .

(٢) ريموندا جيل : تاريخ الفرنج غزات بيت المقدس ، ترجمة د. حسين محمد عطية ، دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية ـ ١٩٩٠م ، ص ٢٤٧ .

(٣) وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ترجمة د. حسن الحبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م ، ج ٢ ص ١٢٧ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ج ١٠ ص ٢٨٣ .

لكن رواية ريموندا جيل ، تؤكد العدد شبه المتفق عليه . إذ يقول : لكننا نود عند هذه النقطة أن نضيف الاحصائيات التالية وطبقا لأحسن تقديراتنا وتقديرات الآخرين كان هناك نحو ستين ألف مقاتل فى بيت المقدس ، ونساء وأطفال لا حصر لهم ، ولم يكن لدينا فى جانبنا أكثر من إثنى عشر ألف رجلاً من الأقوياء مع كثير من المعقدين والفقراء ، وما يزيد – فى اعتقادى – عن ألف ومائتى أو ألف وثلاثمائة فارس . (١)

ويقول نسيمان : إن الصليبيين وقد زاد فى جنونهم ما أحرزوه من نصر كبير بعد شقاه وعناء شديد ، انطلقوا فى شوارع المدينة ، وإلى الدور والمساجد ، يقتلون كل من يصادفهم من الرجال والنساء والأطفال دون تمييز ، واستمرت المذبحة طوال مساء ذلك اليوم ، وطوال الليل ، ولم يكن عَلَمْ تانكرد عاصماً للاجئين إلى المسجد الأقصى من القتل ، ففى الصباح الباكر من اليوم التالى ، اقتحم باب المسجد ثلة من الصليبيين ، فأجهزت على جميع اللاجئين ، وحينما توجه ريموندا جيل فى الضحى ، لزيارة ساحة المعبد ، أخذ يتلمس طريقة بين الجثث والدماء التى بلغت ركبتيه . (٢)

---

(١) تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص ٢٤٤ .

(٢) ريسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة د. الباز العرينى ، دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ،
ج ١ ص ٤٠٤ .

مذبحة اليهود

وفر يهود بيت المقدس جميعاً إلى معبدهم الكبير ، غير أنه تقرر إلقاء القبض عليهم بحجة أنهم ساعدوا المسلمين ، فلم تأخذهم بهم الرحمة والرأفة فأشعلوا النار فى المعبد ، ولقى اليهود بداخله مصرعهم محترقين . (١)

آثار المذبحة

وتركت مذبحة بيت المقدس أثراً عميقاً فى جميع العالم ، فقد أدت إلى خلو المدينة من سكانها المسلمين واليهود ، بل إن كثيرا من المسيحيين اشتد جزعهم لما حدث ، أما المسلمون الذين كانوا حتى وقتذاك مستعدين لأن يقبلوا الفرنج على أنهم عامل جديد فيما ساد ذلك العصر من سياسات معقدة ، فإنهم وطدوا العزم على ضرورة طرد الفرنج ، فلم يثر التعصب الإسلامى من جديد إلا التعصب المسيحى الذى دل عليه ما لجأ إليه الصليبيون من سفك الدماء ، فلما حدث فيما بعد أن سعى بعض عقلاء اللاتين لأن يجدوا أساساً يستطيع أن يقوم عليه التعاون بين المسلمين والمسيحيين ، كانت ذكرى هذه المذبحة تعترض دائماً الوصول إلى الاتفاق ، ولما لم ينج من القتل أحد من المسلمين توجه أمراء الحملة الصليبية فى موكب يتسم بالخشوع ، إلى الحى المسيحى المهجور منذ أن أبعد سكانه افتخار الدولة ليؤدوا صلاة الشكر فى كنيسة القيامة . (٢)

نهب قبة الصخرة وتحويلها إلى الكنيسة

يجمع المؤرخون على أن الصليبيين نهبوا كل ما وجدوا فى المدينة حتى أنهم – كما مر – أخذوا يبقرون بطون الناس ظنا منهم أنها تحتوى على قطع ذهبية أو فضية خبأها المسلمون فى بطونهم .

وكان من الطبيعى أن لا تسلم قبة الصخرة بجمالها الأخاذ وزينتها التى حصلتها عن خلفاء الإسلام فيما سبق من عمرها ، وقد أهدوها أغلى ما يملكون من درر الزمان ، وهؤلاء الصليبيون

---

(١) رنسيمان : السابق ، ج ١ ص ٤٠٥ .

(٢) السابق نفسه ، ج١ص٤٠٥ .

على الجانب الآخر جاءوا مدفوعين بعدة دوافع من أهمها الفقر المدقع الذى ساد معظم شعوب أوربا فى هذه الاثناء والعصور الوسطى عموماً نتيجة للتفاوت الطبقى الكبير ، فكما جاءوا متعطشين لدماء المسلمين فقد جاءوا إيضا على نفس المستوى بالنسبة لثرواتهم ومقدساتهم ، والجانب الأخير كان فطرة عندهم بدليل ما فعلوه فى أجمل وأغنى مدينة فى العالم فى العصور الوسطى ، وهى القسطنطينية ، وهى عاصمة لامبراطورية مسيحية إذ حولوها إلى اطلالات حرق بعضها ونهب البعض الآخر ، ودنست مقدساتها وسرقت كنائسها وكاتدرائياتها .

أما قبة الصخرة فقد أخذوا منها نيفا وأربعين قنديلا من الفضة ، وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم ، كما أخذوا تنوراً من فضة وزنه أربعون رطلاً بالشامى ، كما أخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلاً ونقرة ، ومن الذهب نيفاً وعشرين قنديلاً ، وغنموا منها ما لا يقع عليه الإحصاء – كما يؤكد أحد المؤرخين المعاصرين – [1] وقد أكد هذا أيضا المؤرخون الصليبيون المعاصرون والذين شاركوا فى الحملة الصليبية ، ومنهم فوشيه الشارترى [2] وعندما خرج الصليبيون من المدينة ، حمل بطرك المدينة من أموال وجواهر ومقتنيات الصخرة والأقصى ما لا يعلمه إلا الله – كما عبر ابن الأثير – ولم يعرض له صلاح الدين ، وقال لا أغدر به . [3]

وقد حول الصليبيون مسجد القبة من مسجد إسلامى إلى كنيسة وسموها Templum Domini أى هيكل السيد العظيم ، وعلقوا عليها صليباً مذهباً ، كما أنهم غيروا من معالم البناء ، كذلك جعلوها موطنا للأقذار والأنجاس كما يصف المؤرخون ، كذلك غطى أحد ملوكها الصخرة بالرخام حتى غيبوها [4] وذلك خوفاً من أن تفنى الصخرة بعد أن أخذ القساوسة يبعون الجزء منها بوزنه ذهباً للصليبيين .

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج١٠ص٢٨٤ .

(٢) فوشيه الشارترى : تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ، ترجمة زياد العسلي ــ الأردن ــ ١٩٩٠م ، ص ٧٥ .

(٣) الكامل فى التاريخ ، ج١١ص٥٥١ .

(٤) السابق ، ج١١ص ٥١ .

عودة المسجد للإسلام على يد صلاح الدين

وعندما أذن الله بزوال هذا الابتلاء التاريخى على يد واحد من أفضل جنوده المخلصين وهو صلاح الدين ، رجع مسجد القبة إلى سابق عهده درة ناصعة فى جبين الحضارة الإسلامية ، والمؤسسات الدينية خاصة .

فعندما دخلها المسلمون وكان يوم جمعة [٢٧ من رجب ٥٨٣هـ / ٢ من أكتوبر ١١٨٧م] نزعوا هذا الصليب منها وامر صلاح الدين باعادة الأبنية إلى حالها القديم ، وكذلك أمر بتطهير ما بها من أقذار وأنجاس ، وفى الجمعة الثانية [٤ من شعبان ٥٨٣هـ / ٩ من أكتوبر ١١٨٧ م] صلى المسلمون فيه الجمعة ومعهم صلاح الدين وكان الخطيب قاضى دمشق محى الدين بن الزكى ، ورتب فيه صلاح الدين خطيباً وإماماً للصلوات الخمس ، وأمر بعمل منبر له ، فأحضر له منبراً كان نور الدين محمود قد أمر بصنعه منذ عشرين سنة ، وذكر أنه أمر بصنعه لهذا الغرض ، فاعتبر ذلك من كراماته ، وقد وضع صلاح الدين الكثير من المصاحف فى قبة الصخرة ورتب القراء وأجرى عليهم الوظائف الكثيرة ، وقد بلغ من أهمية ذلك وآثاره ما جعل ابن الأثير يعبر عنه بقول : " فعاد الإسلام غضاً طرياً " ثم قال : وهذه المكرمة من فتح البيت المقدسى لم يفعلها بعد عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – غير صلاح الدين – رحمه الله – وكفاه ذلك فخراً وشرفاً . (١)

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج١١ص٥٥١ .

وضع المسجد الأقصى فى اتفاقية تسليم القدس للصليبيين [٦٢٦-٦٣٦هـ / ١٢٢٩- ١٢٣٩م]

نشب خلاف فى البيت الأيوبى حول بعض البلدان والأحقية فى حكمها ، وكان من أطراف هذا الخلاف الملك الملقب بالكامل وأخيه الملقب بالمعظم ، فضلاً عن أطراف أخرى فى البيت الأيوبى ، وأخذ الأمر يزداد سوءاً حتى اتجه الملك المعظم إلى الخوارزميين فتحالف معهم ، وأصبح العزم قائما على الصدام مع الكامل وحلفائه من خلال الاستيلاء على تلك البلاد المتنازع عليها ، أما عن موقف الخلافة العباسية فقد تباين فيها رأى المؤرخين الأمر الذى رأى معه الكامل ضرورة الاستنجاد بطرف قوى ، فاختار فردرك الثانى الامبراطور الصليبى ، ولم يكن اختيار الكامل لفردريك اختياراً عشوائيا لملك أو امبراطور صليبي قوي ، بل كان له ثوابت قللت – إن لم تكن ازالت – خطره ، وليس هذا إقرار بما فعل ، فقد تربى وتعلم فى صقلية على مقربة من المؤثرات العربية والبيزنطية ، فأجاد العربية ، ولغات أخرى ، وتذوق الشعر العربى وكان محباً للمسلمين – كما يقرر المؤرخون – وهو الذى لم يقم بحملته الصليبية على المسلمين من قبل رغم ضغط البابا وحرمانه له ، وتهديده المستمر .

وكانت صقلية – منشأه ومرباه – أغلبها مسلمون ، وقد تجلت هذه المعانى فى حملته تلك فلم يقم بأى اشتباك عسكرى مع المسلمين ، بل كانت الرسائل الودية والمناظرات العلمية والمسائل الحسابية ، بل والهدايا من المنسوجات الحريرية والأوانى الذهبية ، بينه وبين الكامل منذ وصول الحملة ، بل لقد عبر عن أكثر من ذلك صراحة ، وذلك عندما قال للأمير فخر الدين الذى كان يتولى المراسلات بينه وبين الكامل : " لولا أنى أخاف انكسار جاهى عند الفرنج لما كلفت السلطان – يقصد الكامل – شيئاً من ذلك ، وما كان غرضى فى القدس ولا غيره ، وإنما قصدت

حفظ ناموسى عندهم " [1]. ، وفى رسالة شفوية قال فردريك للكامل : " كان من الجيد والمصلحة للمسلمين أن يبذلوا كل شئ ولا أجئ إليهم " . [2]

وكان الملك الكامل قد اتفق مع فردريك الثانى أن يعطيه القدس مقابل التحالف معه ضد الملك المعظم وحلفائه ، لكن الملك المعظم مات فى [ذى القعدة ٦٢٤هـ / نوفمبر ١٢٢٧م] وكان الأمبراطور فردريك قد أقلع بحملته متجها إلى الشام ، مما أوقع الكامل فى حيره فامتنع فى بداية الأمر ثم أخذ يتردد فى تنفيذ ما اتفق عليه مع فردريك ، أما فردريك فكان فى حالة استعطاف ورجاء ، وقد جاء مطوقاً بقرار الحرمان من البابا ، وهو امبراطور ، أن يعود كما جاء .

واستمر الأمر بينهما والرسل تتردد دون جدوى ، لكن الكامل لم يرد أن يفتح عليه عدة جبهات فى وقت واحد ، فهؤلاء الصليبيون وهناك ابن أخيه الملك الناصر داود وحلافاؤه الخوارزميون ومن ورائهم المغول ، ولربما جبهة واحدة تفتح كل تلك الجبهات .

أما فردريك الثانى فقد لجأ إلى سلاح الاستعطاف والتذلل للسلطان حتى إن بعض المؤرخين الغربيين يذكر أنه كان يبكى فى بعض مراحل المفاوضات ، ويفسر هذا الشعور رسالة أرسلها فردريك الثانى إلى السلطان الكامل أثناء المفاوضات يقول فيها : " أنا مملوكك وعتيقك ، وليس لى عما تأمره خروج ، وأنت تعلم أنى أكبر ملوك البحر ، وقد علم البابا والملوك باهتمامى وطلوعى ، فإن رجعت خايبا انكسرت حرمتى بينهم ... وهذا القدس هو أصل اعتقادهم وضجرهم ، والمسلمون قد أخربوها فليس لها دخل طائل ، فإن رأى السلطان أن ينعم على بقبضة البلد والزيارة فيكون صدقة منه ... ويرفع رأسى بين ملوك البحر " . [3] وسوف نرى هذه المعانى فى كلام فردريك الثانى عند زيارته لبيت المقدس .

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، تحقيق د. حسانين ربيع ، دار الكتب والوثائق القومية ــ مصر ــ ١٩٧٢م ، ج٤ ص ٢٤٣ ، والمقريزى : السلوك فى معرفة دول الملوك ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ مصر ــ ج١ص ٢٦٩ .

(٢) المقريزى : السلوك ، ج ١ ص ٢٦٦ .

(٣) د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، مكتبة الأنجلو ــ مصر ــ ١٩٩٦م ، ج٢ص٧٩٩ ، عن المكتبة الصقلية ج٢ص٤١ (ذيل الباب الثانى والسبعين من كتاب الوافى بالوفيات) .

صلح يافا وتسليم بيت المقدس [٦٢٦هـ / ١٢٢٩م]

كان فردريك الثانى قد انتقل إلى يافا وأخذ فى تحصينها ، وذلك أثناء المفاوضات وقد نتج عن تلك الظروف السابقة التى كانت تحيط بالكامل والدولة الأيوبية عموما ، وكذلك أسلوب فردريك الثانى واستعطافه – مع عدم إغفال خطره – أن عزم الملك الكامل على عقد اتفاقية مع فردريك الثانى محاولا وضع حل وسط يدفع به خطر الصليبيين ، ويحتفظ بقدر المستطاع بمقدسات بيت المقدس ، وإداراته الإسلامية .

وقد عقدت الإتفاقية فى يافا فى [ربيع الأول ٦٢٦ / ١٨ من فبراير ١٢٢٩م] ونصت على أن يتسلم فردريك بيت المقدس على شريطة أن يبقى خرابا ولا يجدد سوره ، ولا يكون للصليبيين شئ فى ظاهره بل إن جميع قراه تكون للمسلمين ، وللمسلمين وال عليها يكون مقامه بالبيرة التابعة للقدس ، كما أن الحرم بما حواه من الصخرة المقدسة والمسجد الأقصى يكون بأيدى المسلمين ، وشعار المسلمين فيه ظاهر ، ولا يدخلها الصليبيون إلا للزيارة واستثنى الصليبيون بعض القرى فى طريقهم من عكا إلى القدس خوفا أن يأخذهم المسلمون أثناء طريقهم[١] .

ومدينة لد وتبنين [٢] والناصرة وصيدا[٣] وعقدت الهدنة لمدة عشر سنين وستة أشهر وعشرة أيام تبدأ من [١٨ من ربيع الأول ٦٢٦هـ / فبراير ١٢٢٩ م] .

أما الملك الكامل فقال : " إنا لم نسمح للفرنج إلا بكنائس وأدر خراب " [٤] كما أنه حرص على بقاء بيت المقدس بدون سور حتى يأخذها إن أراد أو أن لم يسلمها الصليبيون بعد انقضاء الهدنة .

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ص ٢٤١ .

(٢) النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، تحقيق د. محمد محمد أمين وآخرين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ج ٢٩ ص ١٥١ .

(٣) د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٧٩٩ .

(٤) المقريزى : السلوك ، ج١ص٢٦٨ .

ومع ذلك فإن الأمر كان جللا ، فلم يكن مقبولا عند المسلمين ولا معقولا ، وقد ذكر المؤرخون الحزن الشديد الذى عمهم ، فقد " عملت الأعزية – كما يقول النويرى – فى جميع بلاد الإسلام بسبب ذلك " [1] واستعظموا ذلك وأكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم ما لا يمكن وصفه – فى قول ابن الأثير – . [2]

ولم يكن المسلمون وحدهم هم الذين أظهروا استياءهم من اتفاقية يافا سنة [٦٢٦ هـ/١٢٢٩م] بل لقد قابل الصليبيون ايضا تلك الاتفاقية بالغضب والاستياء ، وعبروا عن غضبهم بصور شتى ، فبعضهم قال إن كرامة المسيحية كانت تقتضى أن تؤخذ بيت المقدس من المسلمين بحد السيف ، لا عن طريق الاستجداء والاستعطاف مثلما فعل فردريك الثانى ، لا سيما وأنه ترتب على حصول الصليبيين على المدينة بالطريق السلمى أن المسمين احتفظوا بكثير من حقوقهم فيها ، كما استبقوا لأنفسهم المسجد الأقصى وقبة الصخرة وهو ما لا يجب أن يكون ، والبعض الآخر قال بأنه لا قيمة لحصول الصليبيين على بيت المقدس بدون الأردن والكرك وأنه لو كان هذا الحل مقنعا فى نظر المسيحيين لرضوا به عندما عرضه الكامل على الصليبيين فى مصر أيام الحملة الصليبية الخامسة ، ولكنهم رفضوه عندئذ لأنهم أدركوا أنه لابد من إحياء مملكة بيت المقدس كاملة بما فيها أراضيها فى الأردن ، أما الداوية والاستبارية فقالوا إنه لا قيمة لأى عمل أو نجاح يحققه إمبراطور محروم من الكنيسة مطرود من رحمتها ، هذا فضلا عن غضب الداوية لأن الإمبراطور سمح للمسلمين بالاحتفاظ بالمسجد الأقصى الذى كان مركزا للداوية قبل حطين ، وأخيراً فإن أمراء الصليبيين المحليين لم يستطيعوا أن يخفوا حقدهم على الإمبراطور الذى أعلن نفسه ملكا على مملكة بيت المقدس الصليبية ، والذى لم يقبل من أحد رأيا خلاف رأيه فانضموا إلى زمرة الساخطين ، وكان أن وقع جيرولد Gerold طرق مملكة بيت المقدس قرار الحرمان على المدينة المقدسة نفسها وعلى من فيها من المسيحيين إذا هم استقبلوا المحروم من الكنيسة ، وهكذا لم يعترف أحد

---

(١) نهاية الأرب : ج ٢٩ ص ١٥١ .

(٢) الكامل فى التاريخ ، ج ١٢ ص ٤٨٣ .

بفضل الإمبراطور فردريك الثانى ، وتنكرت جميع طوائف المسيحيين له ، وبخسوه العمل الكبير الذى أداه لهم باسترداد بيت المقدس دون عناء . (١)

فردريك الثانى فى المسجد الأقصى

ذكر المؤرخون أن فردريك الثانى بعث يستأذن فى دخول القدس فأجابه الكامل إلى ما طلبه ، وسير القاضى شمس الدين قاضى نابلس فى خدمته فسار معه إلى المسجد بالقدس ، وطاف معه ما فيه من المزارات وأعجب الإمبراطور بالمسجد الأقصى وبقبة الصخرة ، وصعد درج المنبر ، فرأى قسيسا بيده الإنجيل ، وقد قصد دخول المسجد الأقصى فزجره وأنكر مجيئه وأقسم لئن عاد أحد من الفرنج يدخل هنا بغير إذن ليأخذن ما فيه عينيه " فإنما نحن مماليك هذا السلطان الملك الكامل وعبيده ، وقد تصدق علينا وعليكم بهذه الكنائس ، على سبيل الإنعام منه ، فلا يتعدى أحد منكم طوره " فانصرف القس وهو يرتعد خوفا منه ، ثم نزل الملك فى دار ، وأمر شمس الدين قاضى نابلس المؤذنين ألا يؤذنوا تلك الليلة ، فلم يؤذنوا البتة ، فلما أصبح قال الملك للقاضى : " لِمَ لَم يؤذن المؤذنون على المنابر؟"فقال له (القاضى) : " منعهم المملوك إعظاما للملك ، واحتراما له" فقال له " الإمبراطور " : " أخطأت فيما فعلت ، والله إنه كان أكبر غرضى فى البيت بالقدس أن أسمع آذان المسلمين وتسبيحهم فى الليل . (٢)

---

(١) د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٨٠١ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ص ٢٤٤ ــ ٢٤٥ ، المقريزى : السلوك ، ج١ص٢٦٩ ــ ٢٧٠ .

جهود الأيوبيين والمماليك تجاه المسجد الأقصى

عنى ملوك بنى أيوب كلهم ، بعد موت صلاح الدين بمسجد الصخرة فكانوا يكنسونها بأيديهم ، ويغسلونها بماء الورد ، وإن الحاجز الخشبى الذى يحيط بالصخرة نفسها من صنع الملك العزيز عثمان . (١)

ولما تولى السلطنة الظاهر بيبرس فى العصر المملوكى زار بيت المقدس سنة [٦٦١هـ / ١٢٦٢م]

وجدد كل ما كان قد تهدم من أبنية الحرم الشريف ، كما أنشأ خانا يجمع أكبر عدد ممكن من التجار وأوقف عليه أعيانا كثيرة يصرف ريعها السنوى فى تحضير خبز للمسافرين وتصليح نعالهم . كما يقدم مصروفا للمحتاجين منهم ، كما عين خمسة الآف درهم سنويا لتصرف على شئون الحرم الشريف .

ثم توالت يد الترميم والصيانة والرعاية للمسجد الأقصى طوال عهد سلاطين المماليك البحرية والشراكسة ولكنهم لم يغيروا فى معالمه الأصيلة التى ترجع إلى العصرين العباسى والفاطمى.(٢)

ففى شوال [٧٢٨هـ / ١٣٢٧م] بدأ نائب الشام من قبل المماليك فى مصر شق قناة مائية فى القدس ، وأوصلها إلى المسجد الأقصى وعمل به بركة هائلة وهى عبارة عن مرخة بين الصخرة والأقصى " . (٣)

وممن عنى بعمارة المسجد من المماليك الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى [٦٩٣هـ / ١٢٩٤م] والملك الناصر محمد بن قلاون [٧١٨هـ / ١٣١٨م] واسم هذا الملك منقوش فى أسفل رقبة القبة من الداخل.

---

(١) عارف العارف : تاريخ القدس ، دار المعارف ــ مصر ــ ١٩٩٩م ، ص ٢٩٠ .

(٢) د . أحمد رمضان أحمد : ضمامة (١) ضمن إتحاف الأخصا ، قسم ٢ ص ١٨٦ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٤ص١٣٣ .

وفى زمن الملك الظاهر برقوق جددت دكة المؤذنين [٧٨٩هـ / ١٣٨٧ م] تلك الدكة التى تراها أمامك إذا ما دخلت المسجد من بابه القبلى . وتم على يد الملك الأشرف برسباى [٨٣٦هـ / ١٤٣٢م] بعض الترميم ، وأوقف بعض الأملاك ، خصص ريعها لعمارة المسجد ، وأنعم الملك الظاهر جقمق[٨٥٢هـ / ١٤٤٨ م] على ناظر الحرم بألفين وخمسمائة دينار ذهب ومئة وعشرين قنطاراً من الرصاص ، عمر بها السقف . وفى زمن الملك الأشرف قايتباى [٨٧٢هـ / ١٤٦٧ م] صنعت الأبواب النحاسية [١] ، كذلك قام أحد الأمراء المماليك ويسمى تنكز بوقف سوق على المسجد وفتح شباكا فيه . [٢]

(١) عارف العارف : تاريخ القدس ، ص ٢٩٠ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ص ١٨٧ .

الفصل السادس

وصف المؤرخين والرحالة للمسجد الأقصى

- الإصطخري ، ق [٤هـ / ١٠م] .
- ناصر خسرو ، ق [٥هـ / ١١م] .
- القزويني ، ق [٧هـ / ١٣م] .
- ابن بطوطة ، ق [٨هـ / ١٤ م] .
- شهاب الدين السيوطي ، ق [٩هـ / ١٥م] .
- مجير الدين الحنبلي ، ق [١٠هـ / ١٦م] .

لما كان المسجد الأقصى بهذه المكانة السامية فى عقيدة الأمة ، ولما كان من المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال ــ كما حدث النبي [ﷺ] ــ فقد كان هدفاً رئيسياً للرحالة والجغرافيين وكذلك المؤرخين فزاره الكثير منهم وجعلوه معلماً فى رحلاتهم ، ومن أبرز هؤلاء :

الإصطخرى ق [٤هـ / ١٠م]

من أوائل الجغرافيين والرحالة الذين اهتموا بالمسجد الأقصى وأوردوا له وصفاً فى كتبهم هذا الجغرافي الشهير ، وإن كان وصفه مقتضباً بالنسبة لغيره من الرحالة والجغرافيين ، وقد أورد الاصطخرى وصفه وحديثه عن المسجد الأقصى أثناء كلامه عن بيت المقدس ، إذ جاء قوله واصفاً للمسجد : " ... وبها مسجد ليس فى الإسلام مسجد أكبر منه ، والبناء فى زاوية من غربي المسجد ، يمتد على نحو نصف عرض المسجد ، والباقي من المسجد فارغ إلا موضع الصخرة ، فإن عليه حجراً مرتفعاً مثل الدكة ، وفى وسط الحجر قبة عالية جداً ، وارتفاع الصخرة من الأرض إلى صدر القائم ، وطولها وعرضها متقارب يكون بضعة عشر ذراعاً ، ويزل إلى باطنها بمراق من باب شبيه بالسرداب ، إلى بيت يكون طوله نحو بسطة فى مثلها ، وليس ببيت المقدس ماء جاء سوى عيون لا تتسع للزروع ، وهو من أخصب بلدان فلسطين ، ومحراب داود ــ عليه السلام ــ وهو بنية مرتفعة ــ ارتفاعها يشبه أن يكون خمسين ذراعاً من حجارة ، وعرضها نحو ثلاثين ذراعاً على الحزر والتخمين ، وأعلاه بناء مثل الحجرة وهو المحراب ، وإذا وصلت إليها من الرملة فهو أول ما يتلقاك من بناء بيت المقدس وفى مسجد بيت المقدس لعامة الأنبياء المعروفين لكل واحد منهم محراب معروف " . (١)

ناصر خسرو ق [٥هـ / ١١م]

أما ناصر خسرو فهو واحد من كبار الرحالة الذين زاروا بيت المقدس ، وذلك في [رمضان ٤٣٨هـ / مارس ١٠٤٧م] وخصوا المسجد الأقصى بعناية كبيرة فى زيارتهم ، حيث أخذ ناصر خسرو يتنقل بين أجزاء المسجد الأقصى وأروقته وساحاته وملحقاته تنقلاً حثيثا متأملاً

---

(١) الاصطخرى : المسالك والممالك ، تحقيق د. محمد جابر عبد العال ، الهيئة العامة لقصور الثقافة [الذخائر] مصر ــ مايو ٢٠٠٤م ، ص٤٣ ــ ٤٤ .

وواصفاً .. مدققاً ومسهباً ، كما يبدو جلياً فى تسجيلاته لذلك ، بما يجعله الأفضل والأشهر بين الرحالة الذين زاروا المسجد ووصفوه ، وفيما يلي تطوف فى المسجد الأقصى وملحقاته وأروقته فى ضوء سجلات ناصر خسرو .

" أرض المسجد مغطاة بحجارة موثوقة إلى بعضها بالرصاص ، والمسجد شرقي المدينة والسوق ، فإذا دخله السائر من السوق فإنه يتجه شرقاً ، فيرى رواقاً عظيماً جميلاً ارتفاعه ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون وللرواق جناحان وواجهتاهما وأيوانه منقوشة كلها بالفسيفساء المثبتة بالجص على الصورة التى يريدنها وهي من الدقة بحيث تبهر النظر ، ويرى على هذا الرواق كتابة منقوشة بالمينا ، وقد كتب هناك لقب سلطان مصر ، فحين تقع الشمس على هذه النقوش ، يكون لها من الشعاع ما يحير الألباب ، وفوق الرواق قبة كبيرة من الحجر المصقول وله بابان مزخرفان وواجهتاهما من النحاس الدمشقي الذى يلمع حتى لتظن آنهما طلياً بالذهب ، وقد طعما بالذهب وحليا بالنقوش الكثيرة وطول كل منهما خمس عشرة ذراعاً وعرضه ثمان ويسميان باب داود — عليه السلام — وحين يجتاز السائر هذا الباب ، يجد على اليمين رواقين كبيرين فى كل منهما تسعة وعشرون عموداً من الرخام ، تيجانها وقواعدها مزينة بالرخام الملون ووصلاتها مثبتة بالرصاص . (١)

وطول المسجد من الشمال إلى الجنوب ، وهو ساحة مربعة إذا اقتطعت المقصورة منه والقبلة فى الجنوب . وعلى الجانب الشمالي بابان آخران متجاوران عرض كل منهما سبع أذرع وارتفاعه اثنتا عشرة ذراعاً ويسميان " باب الأسباط " فإذا اجتازه السائر ، وذهب مع عرض المسجد الذى هو جهة المشرق ، يجد رواقاً عظيماً كبيراً به ثلاثة أبواب متجاورة ، فى حجم " باب الأسباط " وكلها مزينة بزخارف من الحديد والنحاس ، قل ما هو أجمل منها تسمى " باب الأبواب " لأن للمواضع الأخرى بابين وله ثلاثة ، وبين هذين الرواقين الواقعين على الجانب الشمالي ، فى الرواق ذى الطيقان المحملة على أعمدة الرخام ، قبة رفعت على دعائم عالية ، وزينت بالقناديل والمسارج ، تسمى قبة يعقوب — عليه السلام — لأنه كان يصلي هناك ، وفى عرض المسجد رواق فى حائطه باب خارجه صومعتان للصوفية ، وهناك مصليات ومحاريب جميلة يقيم بها جماعة

---

(١) ناصر خسرو : سفر نامة ، ت يحيى الخشاب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب — الألف كتاب الثاني رقم ١٢٢ — ١٩٩٣م ، ص٧٠ .

منهم ويصلون ولا يذهبون للجامع إلا يوم الجمعة لأنهم لا يسمعون التكبير حيث يقيمون . (١)

وعند الركن الشمالي للمسجد رواق جميل ، وقبة جميلة لطيفة مكتوب عليها : " هـذا محراب زكريا النبي ـ عليه السلام ـ " ويقال إنه كان يصلي هناك دائماً ، وعند الحائط الشرقي وسط الجامع ، رواق عظيم الزخرف من الحجر المصقول ، حتى لتظن أنه نحت من قطعة واحدة ، ارتفاعه خمسون ذراعاً وعرضه ثلاثون ، عليه نقوش ونقر وله بابان جميلان لا يفصلهما أكثر من قدم واحدة ، وعليهما زخارف كثيرة من الحديد والنحاس الدمشقي وقد دق عليهما الحلق والمسامير ، ويقال أن سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ بنى هذا الرواق لأبيه . (٢)

وقد واصل ناصر خسرو وصفه للأروقة التى رآها بشكل يجعل القارئ أو السامع كأنه فى المسجد الأقصى ، وقد صلى ناصر خسروا فى أحد المساجد التى سمع عن قبول التوبة فيها ـ أو رجاء ذلك ـ حيث حكى أن توبة داود قبلت فى هذا المسجد .

كذلك يصف ناصر خسروا تلك الأماكن التى ارتبطت بالأنبياء والصدقين وصلتهم بهم ، وحين يمضي السائر بحذاء الجدار الشرقي إلى أن يبلغ الزاوية الجنوبية ، عند القبلة التى تقع على الضلع الجنوبي ، يجد أمام الحائط الشمالي ، مسجداً بهيئة السرداب ينزل إليه بدرجات كثيرة مساحته عشرون ذراعاً فى خمس عشرة ، وسقفه من الحجر مرفوع على أعمدة الرخام ، كبير بحيث يصلى عليه الناس ، وقد صليت هناك ، وقد أحكم وضعه فى الأرض حتى لا يتحرك ، وهو المهد الذى أمضي فيه عيسى طفولته وكلم الناس منه ، وهو فى المسجد مكان المحراب . (٣)

وفى الجانب الشرقي من هذا المسجد محراب مريم ـ عليها السلام ـ وبه محراب آخر لزكريا ـ عليه السلام ـ وعلى هذين المحرابين آيات القرآن التى نزلت فى حق زكريا ومريم ويقال أن عيسى ـ عليه السلام ـ ولد بهذا المسجد ، وعلى حجر من عمده نقش إصبعين كأن شخصاً أمسكه ، ويقال أن مريم أمسكته باصبعيها وهي تلد ، ويعرف هذا المسجد " بمهد عيسى"

---

(١) السابق : ص٧٠ ـ ٧١ .

(٢) ناصر خسرو : السابق ، ص٧١ .

(٣) السابق : ص٧١ .

ـــ عليه السلام ـــ ، وبه قناديل كثيرة من النحاس والفضة ، توقد كل مساء . (١)

وحين يخرج السائر من هذا المسجد ، متبعاً الحائط الشرقي ، يجد عندما يبلغ زاوية المسجد الكبير مسجداً آخر عظيماً جداً ، أكبر مرتين من مسجد " مهد عيسى " يسمى " المسجد الأقصى " وهو الذى أسرى الله عز وجل بالمصطفى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ليلة المعراج من مكة إليه ، ومنه صعد إلى السماء ، كما جاء فى القرآن الكريم : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾ . (٢) وقد بنوا به أبنية غاية فى الزخرف ، وفرش بالسجاد الفاخر ، ويقوم عليه خدم مخصوصون يعملون به دواماً . (٣)

وقد ذكر ناصر خسروا الباب الذى سمى باب النبي ـــ ص ـــ وهو أحد الأبواب التى تؤدي إلى ساحة المسجد وهو بجانب القبلة ـــ فى الجنوب ـــ ويبلغ عرضه عشرة أذرع ويتفاوت طوله حسب المكان . (٤)

ويتابع ناصر خسرو وصفه لهذا المعلم الديني الحضاري بكل دقة مما يعكس مكانته وقدرته عند هذا الرحالة كأحد المسلمين والذين يعيش هذا المعلم فى وجدانهم ويرتبط أيما ارتباط بعقيدتهم ، يقول :

وأما الجزء المسقوف من المسجد الكبير ، والذى به المقصورة فيقع عند الحائطين الجنوبي والغربي ، وطول هذا الجزء عشرون وأربعمائة ذراع وعرضه خمسون ومائة ذراع وبه ثمانون ومائتا عمود من الرخام على تيجانها طيقان من الحجارة .

وقد نقشت تيجان الأعمدة وهياكلها ، وثبتت الوصلات فيها بالرصاص فى منتهى الإحكام ، وبين كل عمودين ست أذرع مغطاة بالرخام الملون الملبس بشقاق الرصاص، والمقصورة فى وسط الحائط الجنوبي ، وهي كبيرة جداً تتسع لستة عشر عموداً ، وعليها قبة عظيمة جداً منقوشة بالميناء على نسق ما وصفت ، وهي مفروشة بالحصير المغربي ، وبها قناديل ومسارج معلقة

---

(١) السابق : ص٧٢ ـــ ٧٣ .

(٢) سورة الإسراء : آية (١) .

(٣) ناصر خسرو : السابق ، ص٧٣ .

(٤) السابق : ص٧٦ .

بالسلاسل ومتباعدة بعضها عن بعض ، وبها محراب كبير منقوش بالمينا وعلى جانبيه عمودان من الرخام لونهما كالعقيق الأحمر ، وازار المقصورة كله من الرخام الملون ، وعلى يمينه محراب معاوية ، وعلى يساره محراب عمر رضى الله عنه ، وسقف هذا المسجد مغطى بالخشب المنقوش المحلى بالزخارف ، وعلى باب المقصورة وحائطها المطلان على الساحة خمسة عشر رواقاً ، عليها أبواب مزخرفة ارتفاع كل منها عشرة أذرع وعرضه ست عشر من هذه الأبواب تفتح على الجدار الذى طوله عشرون وأربعمائة ذراع ، وخمسة منها على الجدار الذى طوله خمسون ومائة ذراع .

وقد زين باب منها غاية الزينة ، وهو من الحسن بحيث تظن أنه من ذهب ، وقد نقش بالفضة وكتب عليه اسم الخليفة المأمون ، ويقال إنه هو الذى أرسله من بغداد ، وحين تفتح الأبواب كلها ينير المسجد حتى لتظن أنه ساحة مكشوفة ، أما حين تعصف الريح وتمطر السماء وتغلق الأبواب ، فإن النور ينبعث للمسجد من الكوات ، وعلى الجوانب الأربعة من الحرم المسقوف صناديق من مدن الشام والعراق يجلس بجانبها المجاورون ، كما هو الحال فى المسجد الحرام بمكة شرفها الله تعالى .

وخارج هذا الحرم عند الحائط الكبير الذى مر ذكره رواق به اثنان وأربعون طاقاً ، وكل أعمدته من الرخام الملون ، وهذا الرواق متصل بالرواق المغربي .

وقد حرص ناصر خسرو على وصف معلماً من معالم المسجد الذى اقتضته ضرورة حجم المسجد الأقصى وهو حوض تتجمع فيه المياه لمن أراد أن يتوضأ ، حيث لا يمكن الوقت ــ قبل الصلاة ــ من أراد الذهاب خارج المسجد للوضوء ، يقول :

" وتحت الأرض فى الحرم المسقوف حوض جعل بحيث يكون فى مستوى الأرض حين يغطي ، وقد بنى لتجمع فيه مياه المطر ، وعلى الحائط الجنوبي باب يؤدي إلى ميضآه ، يذهب إليها من يحتاج إلى الوضوء فيجدده ، وذلك لأنه لا يلحق الصلاة إذا هو خرج من المسجد ليتوضأ إذ أن كبر المسجد يفوت عليه الصلاة ، إذا اجتازه وكل الأسقف ملبسة بالرصاص ".[1]

---

(١) ناصر خسرو : السابق ، ص٧٥ .

وصف ناصر خسرو لقبة الصخرة

قال ناصر خسرو فى وصفه : [1] " بنى المسجد بحيث تكون الدكة فى وسط الساحة ، وقبة الصخرة فى وسط الدكة والصخرة وسط القبة ، وقبة الصخرة بيت مثمن منظم ، كل ضلع من أضلاعه الثمانية ثلاث وثلاثون ذراعاً وله أربعة أبواب ، على الجهات الأربع الأصلية ، باب شرقي وآخر غربي وثالث شمالي ورابع جنوبي ، وبين كل بابين ضلع ، وجميع الحوائط من الحجر المنحوت ، وارتفاعها عشرون ذراعاً .

ومحيط الصخرة مائة ذراع ، وهي غير منتظمة الشكل ، لا هي مدورة ولا مربعة ، ولكنها حجر غير منتظم كحجارة الجبل ، وقد بنوا على جوانب الصخرة الأربعة أربع دعائم مربعة ، بارتفاع حائط الدكة المذكورة ، وبين كل دعامتين على الجوانب الأربعة ، عمودان اسطوانيان من الرخام ، بنفس الارتفاع وعلى قمة تلك الدعائم وهذه الأعمدة الاثنى عشر بنوا القبة التى تحتها الصخرة ، والتى يبلغ محيطها مائة وعشرين ذراعاً " .

ويذكر ناصر خسرو أن الصخرة أعلى من الأرض بمقدار قامة رجل ، وقد أحيطت بسياج من الرخام حتى لا تصل يد إليها .

والصخرة حجر أزرق لونه ، لم يطأها أحد برجله أبداً ، وفى ناحيتها المواجهة للقبلة انخفاض ، كأن إنساناً سار عليها فبدت آثار أصابع قدميه فيها ، كما تبدو على الطين الطري ، وقد بقيت عليها آثار سبع أقدام ، وسمعت أن إبراهيم ــ عليه السلام ــ كان هناك ، وكان إسماعيل طفلاً فمشى عليها وهذه هي آثار أقدامه .

ويقيم فى بيت الصخرة جماعة من المجاورين والعابدين ، وقد زينت أرضه بالسجاد الجميل من الحرير وغيره ، وفى وسطه قنديل من الفضة ، معلق بسلسلة فضية فوق الصخرة وهناك قناديل كثيرة من فضة ، كتب عليها وزنها ، أمر بصنعها سلطان مصر ، وقد قدرت ما هناك من الفضة بألف .

وراح الناس يزورون المسجد من كل فج ، ويطوفون حول الصخرة ، كما كانوا يفعلون

---

(١) السابق : ، ص٧٨ ــ ٨٠ .

حول الكعبة ، ولقد أعجبوا به وبقبته الجميلة وبنائه المتين ، وتكوينه الرائع ، ذلك لأنهم رأوا فيه جمال الهندسة العربية والذوق العربي ممتزجاً بشئ من الطراز الفارسي والأسلوب البيزنطي ، ووصفه المؤرخون ، فأجمعوا على أنه من أجمل الأبنية الكائنة على وجه البسيطة [1] ، لا ، بل إنه ـــ كما قال الأستاذ هايتر لويس ـــ من أجمل الآثار التى خلدها التاريخ". [2]

القزويني ق [٧هـ / ١٣م]

أما القزويني فقد عاش فى القرن السابع الهجري ، وقد ضمن كتابه " آثار البلاد وأخبار العباد " حديثاً طويلاً عن بيت المقدس والمسجد الأقصى ، فبدأ بمكانه بيت المقدس الدينية وصلتها بالأنبياء ، وتحدث عن جغرافيتها ومستواها الحضاري ومناخها وزراعاتها ، ثم أفاض فى المسجد الأقصى ، فتحدث عن صلة سليمان ـــ عليه السلام ـــ بالمسجد ، وكذلك باقي الأنبياء.

ومما جاء فى وصفه للمسجد قوله : إن أساسه من عمل داود ـــ عليه السلام ـــ طول كل حجر عشرة أذرع ... وصحن المسجد طويل عريض طوله أكثر من عرضه ، وهو فى غاية الحسن والإحكام ، مبني على أعمدة الرخام الملونة ، والفسيفساء الذى ليس فى شئ من البلاد أحسن منه " .

ثم أخذ يصف باقي أجزاء المسجد ، ومن ذلك قوله : " وفى صحن المسجد مصطبة كبيرة فى ارتفاع خمسة أذرع يصعد إليه من عدة مواضع بالدرج ، وفى وسط هذه المصطبة قبة عظيمة مثمنة على أعمدة رخام مسقفة برصاص منمقة من داخل وخارج بالفسيفساء ، مطبقة بالرخام الملون ، وفى وسطها الصخرة التى تزار وعلى طرفها أثر قدم النبي ـــ عليه السلام ـــ وتحتها مغارة ينزل إليها بعدة درج يصلي فيها ، ولهذه القبة أربعة أبواب ، وفى شرقيها خارج القبة قبة أخرى على أعمدة حسنة يقولون : إنها قبة السلسلة وقبة المعراج أيضاً على المصطبة ، وكذلك قبة النبي ـــ عليه السلام ـــ كل ذلك على أعمدة مطبقة أعلاها بالرصاص ، وبها مربط البراق الذى ركبه النبي ـــ ﷺ ـــ تحت ركن المسجد ، وبها محراب مريم ـــ عليها السلام ـــ التى كانت الملائكة تأتيها فيه

---

(١) عارف العارف : تاريخ القدس ، ص٢٨٨ .

(٢) السابق عن : The Holy Places Of Jerusalem , By Hayter Lewis , p.٢٦

بفاكهة الشتاء فى الصيف وبفاكهة الصيف فى الشتاء ، وبها محراب زكريا ــ عليه السلام ــ الذى بشرته الملائكة بيحيى وهو قائم يصلي فيه ، وبها كرسي سليمان الذى كان يدعو الله عليه . (١)

كذلك تحدث القزويني عن أبعاد المسجد ومكوناته ، وما سبك فيه من المعادن والأخشاب وإضائته وخدمه ، فقال :

" أما المسجد فطوله سبعمائة ذراع وأربعة وثمانون ذراعاً ، وعرضه أربعمائه وخمسة وخمسون ذراعاً ، وعدة ما فيه من العمد ستمائة وأربعة وثمانون وداخل الصخرة ثلاثون عموداً ، وقبة الصخرة ملبسة بصفائح الرصاص ، عليها ثلاثة آلاف صفيحة واثنتان وتسعون ، ومن فوق ذلك الصفائح النحاس المطلية بالذهب ، وفى سقوف المسجد أربعة آلاف خشبة ، وعلى السقوف خمسة وأربعون ألف صفيحة رصاص .

وحجر الصخرة ثلاثة وثلاثون ذراعاً فى سبعة وعشرين ، والمغارة التى تحت الصخرة تَسَعْ تسعاً وستين نفساً ، ويسرج فى المسجد ألف وخمسمائة قنديل ، ويسرج فى الصخرة أربعمائة وأربعة وستون قنديلاً ، وكانت وظيفته كل شهر مائة قسط زيتاً ، وفى كل سنة ثمانمائة ألف ذراع حصيراً ، وكان له من الخدم مائتان وثلاثون مملوكان ، أقامهم عبد الملك بن مروان من ضمن الأسارى ، ولذلك يسمون الأخماس وكان رزقهم من بيت المال .." . (٢)

ابن بطوطة ق [٨هـ / ١٤م]

بدأ ابن بطوطة ــ وهو واحد من أشهر الرحالة فى التاريخ الإنساني كله ــ حديثه عن مكانة بيت المقدس ــ يقصد المسجد الأقصى ــ الدينية ، فقال : " ثم وصلنا إلى بيت المقدس شرفه الله ، ثالث المسجدين الشريفين فى رتبة الفضل ، ومصعد رسول الله ــ ﷺ ــ ومعرجه إلى السماء".

---

(١) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ــ بيروت ــ بدون تاريخ الطبع ، ص ١٥٩ ــ ١٦٢ بايجاز .

(٢) القزويني : السابق ، ص١٦٢ ــ ١٦٣ .

ومما جاء فى وصفه للمسجد قولـــه :

و " المسجد المقدس من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحسن ، يقال إنه ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه ، وأن طولـــه من شرق إلى غرب سبعمائة وثنتان وخمـــسون ذراعـــاً ، بالذراع المالكية ، وعرضه من القبلة إلى الجوف أربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعاً ، وله أبواب كثيرة فى جهاته الثلاث ، وأما الجهة القبلية منه فلا أعلم بها إلا باباً واحداً وهو الذى يدخل منـــه الإمام ، والمسجد كله فضاء وغير مسقف إلا الأقصى فهو مسقف ، وفى النهاية مـــن إحكـــام الفعل وإتقان الصنعة ، مموه بالذهب والأصبغة الرائقة ، وفى المسجد مواضع سواه مسقفة " . (١)

أما حديثه عن درة المسجد الأقصى وهي قبة الصخرة فقد جاء مشوقاً يتلألأ بيانـــاً ؛ إذ قال: " وقبة الصخرة هي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلاً ، قد توفر حظها من المحاســـن ، وأخذت من كل بديعة بطرف ، وهي قائمة على نشر ـــ ارتفاع ـــ فى وسط المسجد يصعد إليها فى درج رخام ، ولها أربعة أبواب ، والدائر بها مفروش بالرخام أيضاً ، محكم الصنعة ، وكـــذلك داخلها ، وفى ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقة ورائق الصنعة ما يعجز الواصف ، وأكثر ذلـــك مغشى بالذهب ، فهي تتلألأ نوراً وتلمع لمعان البرق ، يحار بصر متأملها فى محاسنها ، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها ، وفى الوسط القبة الصخرية الكريمة التى جاء ذكرها فى الآثار ، فإن النبي ـــ ﷺ ـــ عرج منها إلى السماء ، وهي صخرة صماء ارتفاعها نحو قامة ، وتحتها مغارة مقدار بيت صغير ، ارتفاعها نحو قامة أيضاً ، ينزل إليها على درج ، وهنالك شكل محراب ، وعلى الصخرة شـــباكان اثنان ، محكما العمل ، يغلقان عليها أحدهما ، وهو الذى يلي الصخرة من حديد ، بديع الصنعة ، والثاني من خشب ، وفى القبة درقة ـــ الترس ـــ كبيرة من حديد ، معلقة هنالك ، والناس يزعمون أنها درقة حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه " . (٢)

---

(١) ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار [رحلة ابن بطوطة] ، دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ ط٢ ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ص٧٨ ـــ ٧٩ .

(٢) السابق : ص٧٩ .

السيوطي ق [٩هـ / ١٥م]

أما السيوطي فهو واحد من أكبر المؤرخين الذين أفردوا مؤلفاً خاصاً بالمسجد الأقصى وقد أسمى مؤلفه "إتحاف الإخصّا بفضائل المسجد الأقصى " وهو مؤلف ذو جزأين أطنب فيه الحديث عن المسجد الأقصى وفضائله وأوصافه وتاريخه وتاريخ والأنبياء الذين لهم به صلة ، وهذا المؤلف هو أحد مصادر هذه الدراسة .

وفى إحدى المواضع التى تناول فيها وصف المسجد ومحتوياته تحدث عن المحاريب فقال : " وأما ما فى داخل المسجد من المحاريب المقصودة بالزيارة والصلاة فيها فمحراب داود ــ عليه السلام ــ على اختلاف فيه فيقال إنه المحراب الكبير الذى فى سور المسجد الشرقي ، ويقال إنه المحراب الكبير الذى بجوار المنبر ، وقال صاحب الفتح القدسي إنه محراب داود ــ عليه السلام ــ فى حصن بيت المقدس فى موضع إقامته فى سكنه كان فى الحصن ومعبده فيه وكذلك محرابه الذى ذكره الله تعالى فى القرآن بقوله ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ﴾ [١] يحتمل أن يكون محرابه الذى كان يصلي فيه فى الحصن فى مكان متعبده فيه وكان المحراب الكبير الذى فى داخل المسجد وهو موضع صلاته إذا دخل المسجد ، ولما جاء عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ اقتفى أثره وصلى مكان متعبده فسمى محراب عمر لكونه أول من صلى فيه يوم الفتح وهو فى الأصلي محراب داود ــ عليه السلام ــ ومحراب مريم عليها السلام وهو موضع متعبدها ويعرف الآن بمهد عيسى ــ عليه السلام ــ والمشهور أن الدعاء فيه مستجاب فينبغي للمصلي أن يصلي فيه ويقرأ سورة مريم لما فيها من ذكرها ويسجد فيها كما فعل سيدنا عمر ــ رضى الله عنه ــ فى محراب داود ــ عليه السلام ــ فإنه قرأ فى صلاته سورة الإخلاص لما فيها من ذكره وسجد فيها والدعاء فيه مستجاب ، خبر به غير واحد من الناس فوجدوه كذلك وأفضل الدعاء فيه دعاء عيسى ــ عليه السلام ــ الذى دعا به حين رفعه الله ــ تعالى ــ إليه من طورزينا . [٢]

كذلك تحدث السيوطي عن محراب عمر بن الخطاب ، وبين الخلاف فيه ، ذاكراً رأي الأكثرين ، فقال :

---

(١) سورة : ص ، آية ٢١.

(٢) السيوطي : إتحاف الإخصا ، ج١ ص١٩٥ ــ ١٩٦ .

" ومحراب عمر ــ رضى الله عنه ــ المجاور الآن للمنبر الشريف المقابل للبـــاب الكـــبير الذى يدخل فيه إلى المسجد الأقصى وقائل يقول إنه المحراب الذى فى الرواق الشرقي المتصل بجوار المسجد الأقصى باعتبار أن ذلك الرواق بما اشتمل علية يسمى جامع عمر وأن ذلك المكان هـــو الذى عزلـــه هو ومن كان معه من الصحابة رضى الله عنهم من الزبالة وكنسوه وصلوا فيه فسمى بذلك جامع عمر والأكثرون على أن محراب عمر هو المحراب الكبير المجاور للمنبر " . (١)

ومن المحاريب الأخرى التى ذكرها السيوطي : " محراب معاوية ــ رضى الله عنه ــ ويقـــال إنـــه المحراب اللطيف الذى هو الآن داخل مقصورة الخطابة وبينه وبين المحراب الكبير المنبر الشريف وفى داخل المسجد الأقصى وخارجه مما هو داخل السور محاريب كثيرة وضعها الناس على اخـــتلاف طبقاتهم لمقتضيات اقتضت وضعها ، فمنها ما وضع برؤيا نبي من الأنبياء يصلي هناك أو ولي مـــن الأولياء وكلها مقاصد خير " . (٢)

وتحدث السيوطي أيضاً عن أبواب المسجد فذكر منها :

١ــ باب الرحمة [باب التوبـــة].

٢ــ باب شرف الأنبياء .

٣ــ باب الغوانمـــة [باب الخليل] .

٤ــ باب الناظر .

٥ــ باب الحديد [باب أرغون الكاملي] .

٦ــ باب القطانين .

٧ــ باب الساقية .

٨ــ باب السكينة .

٩ــ باب السلسلة .

١٠ــ باب المغاربة [باب النبي ــ ﷺ ــ] . (٣)

---

(١) السابق : ج١ ص١٩٦ .

(٢) السابق ، ج١ ص١٩٧ .

(٣) السيوطي : السابق ، ج١ ، ص١٩٧ ــ ٢٠٥ بإيجاز .

وقد ألمح السيوطي فى هذا الموضع إلى مشاهد أخرى فى المسجد وإلى مكانتها الدينية ومقامها ، فقال :

" وفيه الموضع الذى خرقه جبريل ـ عليه السلام ـ وربط فيه البراق خارج باب النبي ـ ﷺ ـ وهو من المواضع الواجبة التعظيم وما شاكله من الآيات المقدسة والمشاهد التى هي على التقوى والرضوان مؤسسة ومنها الصخور التى فى مؤخر المسجد مما يلي باب الأسباط وعندها الموضع الذى يقال له كرسي سليمان الذى دعا عنده لما فرغ من بناء المسجد " . (١)

مجير الدين الحنبلي ق [١٠هـ / ١٦م]

أما مجير الدين الحنبلي فهو من أهل القدس حيث ولد ومات بها ، فقد ولد فى ق [٩هـ / ١٥م] ، وتوفي فى عام [٩٢٧هـ / ١٥٢١م] ، وهذا يعطي أهمية لحديثه عن أهم معالم بلده الدينية ، قال مجير الدين عن المسجد الأقصى : " وأما صفته فى هذا العصر فهي أيضاً من الصفات العجيبة لحسن بنائه وإتقانه ، فالجامع الذى هو فى صدره عند القبلة التى تقام فيها الجمعة وهو المتعارف عند الناس أنه المسجد الأقصى يشتمل على بناء عظيم به قبة مرتفعة مزينة بالفصوص الملونة وتحت القبة المنبر والمحراب وهذا الجامع ممتد من جهة القبلة إلى جهة الشمال ، وهو سبع أكوار متجاورة مرتفعة على العمد والرخام والسواري فعدة ما فيه من العمد خمسة وأربعون عموداً منها ثلاثة وثلاثون من الرخام ومنها اثنا عشر مبنية بالأحجار وهي التى تحت الجملون وعمود ثالث عشر مبني عند الباب الشرقي تجاه محراب زكرياً وعدة ما فيها من السواري المبنية بالأحجار أربعون سارية وسقفه فى غاية الغلو والارتفاع فالقف مما يلي القبة من جهتي المشرق والمغرب مسقف بالخشب ومما يلي القبة من جهة الشمال ثلاثة أكوار مسقفة بالخشب الأوسط منها هو الجملون وهو أعلاها واثنان وهما إلى جانب الجملون من المشرق والمغرب دونه وبقيه الأكوار وهي أربع اثنان من جهة المشرق واثنان من جهة المغرب معقود ذلك بالحجر والشيد، وعلى القبة والجملون والسقف الخشب رصاص من ظاهرها وصدر الجامع القبلي وبعض الشرقي مبنيان بالرخام الملون والمحراب الكبير الذى هو فى صدره إلى جانب المنبر من جهة الشرق يقال أنه محراب داود ـ عليه السلام ـ " . (٢)

---

(١) السابق ، ج١ ص١٩٧ .

(٢) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، بدون بيانات ، ج٢ ، ص٣٦٦ .

الخاتمة

جاءت الدراسة مشتملة على : مقدمة وستة فصول وخاتمة .

أما الفصل الأول : والذي اختص بموضوع بناء المسجد مع ذكر معالم التاريخ القديم ، فقد بدأ الفصل بالتسمية المتعددة لهذا المسجد الكبير ، وكثرتها دلت على شرف المسمى وعلى رأس تلك التسمية تسمية القرآن له بالمسجد الأقصى ، أما البناء فقد تباينت فيه آراء العلماء على فريقين : الأول يرجعه إلي سليمان أو داود ــ عليهما السلام ــ أو كلاهما ، والثاني : يرجع به إلي ما قبل ذلك بدءاً من آدم وحتى يعقوب ــ عليهما السلام ــ ، وإن ترجح وضع إبراهيم ــ عليه السلام ــ له . مع أن فريق ثالث حاول التوفيق بين الرأيين فأول بناء سليمان للمسجد كما جاء في الحديث الصحيح بأنه تجديد وليس وضع لأول مرة . الرأي الثاني اعتمد على الحديث الصحيح أنه ثاني مسجد وضع في الأرض وبينه وبين المسجد الحرام أربعين عاما وهذا ما لا يتأتى مع سليمان أو داود ــ عليهما السلام ــ .

أما الفصل الثاني : فقد برزت فيه فضائل المسجد الأقصى ومكانته ، وذلك من خلال مصدرين رئيسين القرآن والسنة وأقوال العلماء من مفسرين ومحدثين وغيرهم ، وهي فضائل متعددة ، فثمة مواضع قرآنية عديدة اختصت هذا المسجد بالذكر والفضل العام ، وكذلك السنة ، ومن ذلك أنه ثاني مسجد وضع في الأرض وأنه أحد ثلاثة مساجد وتشد إليه الرحال ، كذلك للصلاة فيه فضل كبير وللعمرة منه أيضاً .

أما الفصل الثالث : اشتمل على تاريخ المسجد الأقصى في عصر النبوة والخلافة الرشيدة ، فقد شهد هذا العصر مواقف وأحداث من أبرز ما مر بالمسجد في تاريخه الطويل ، ومن ذلك أنه كان مسرى النبي ــ ﷺ ــ ومنطلقه إلي المعراج ، وكذلك كان قبلة المسلمين الأولى ، أما عمر بن الخطاب فقد دخله من حيث دخل الرسول ــ ﷺ ــ وصلى فيه وأزال ما على الصخرة من أقذار وأوساخ وبنى بجاورها مسجداً ، وأصبح المسجد في ظل الحكم الإسلامي معني به أيما اعتناء .

الفصل الرابع : والذي تناول تاريخ المسجد في العصر الأموي فقد شهد أشهر وأفخم بناء في تاريخه وهو مسجد قبة الصخرة التي أضحت درة في جبين الحضارة والعمارة الإسلامية ،

ومعلماً كان يخطف الأبصار ، فقد شيده عبدالملك بن مروان ـــ على الأرجح ـــ وأغدق عليه الأموال إغداقاً ، فكان إهداءاً يليق بتاريخ المسجد الأقصى .

أما الفصل الخامس : فقد تناول تاريخ المسجد في العصر العباسي متخللا الفاطميين والصليبيين والأيوبيين ، فضلاً عن جهود المماليك تجاه المسجد ، وفي هذا العصر جاءت الجهود تترى لإعمار المسجد بعدما أصيب في الكثير من الزلازل ، كذلك قام صلاح الدين بإعماره ماديا ومعنويا ، بعدما أزال الصليبيون معالمه وحولوه إلي كنيسة واسطبلاً لخيولهم ، وكانوا قد أحدثوا فيه مذبحة من أكبر المذابح التي شهدها التاريخ ،حيث قتلوا فيه سكان بيت المقدس جميعاً إلي من قتل منهم خارج المسجد من قبل ، كذلك وصل الأيوبيون الجهود لإعمار هذا المسجد والعناية به ، وهو ما نهجه المماليك بعد ذلك .

أما الفصل السادس : فقد اشتمل على وصف المؤرخين والرحالة والجغرافيين للمسجد الأقصى حيث زاره الكثير منهم وأولوه عناية فائقة في رحلاتهم وأوصافهم ، وقد نقلوا لنا صورة كاملة عنه في جل العصور الإسلامية ـــ تقريبا ـــ ، وقد تبين لنا من خلال سجلاتهم عظمة هذا البناء وجهود خلفاء الإسلام فيه ، ومكانته عندهم ، وما حواه هذا المسجد ولا سيما قبة الصخرة من درر الزينة وفخامتها ، مما ضن به التاريخ على الكثير من مظاهر حضارته .

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

القرآن الكريم .

ـ ابن الأثير عزالدين بن أبي الحسن، ت [٦٣٠هـ / ١٢٣٢ م]

١ـ الكامل في التاريخ ، دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م

ـ الأزدي ، محمد بن عبدالله ت ، [٢٣١هـ /٨٤٥م] .

٢ـ تاريخ فتوح الشام ، تحقيق عبدالمنعم عبدالله عامر ـ مؤسسة سجل العرب ـ ١٩٧٠م .

ـ الإصطخري ، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد ق [٤ هـ / ١٠م]

٣ـ المسالك والممالك ، تحقيق د. محمد جابر عبدالعال ، الهيئة العامة لقصور الثقافة [الذخائر] ـ مصر ـ مايو ٢٠٠٤م .

ـ البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل ت [٢٥٦هـ / ٨٦٩م]

٤ـ التاريخ الصغير ، تحقيق محمد إبراهيم زيدان ، ط دار الوعي ـ حلب ـ ١٣٩٦هـ .

٥ـ صحيح البخاري ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ـ اليمامة ـ بيروت ـ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

ـ ابن بطوطة ، محمد بن عبدالله ت [٧٧٩هـ / ١٣٧٧م]

٦ـ تحقيق النظار في غرائب الأمصار [رحلة ابن بطوطة] ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

ـ البلاذري ، أحمد بن يحيي بن جابر ت [٢٧٩هـ / ٩٨٢م]

٧ـ جمل من أنساب الأشراف ، تحقيق د. سهيل زكار وأخر ، دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

٨ــ فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

ــ تاج الدين الحسيني

٩ــ الروض المغرس في فضائل البيت المغرس ، مخطوط ، ضمن كتاب فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة ــ د. محمود إبراهيم ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ط ــ الكويت ــ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

ــ ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم ، [٧٢٨هـ / ١٣٢٨م]

١٠ــ كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ، تحقيق عبدالرحمن بن محمد النجدي ، مكتبة ابن تيمية

ــ الحاكم النيسابوري ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله ت [٤٠٥هـ / ١٠١٤م]

١١ــ المستدرك على الصحيحين ، ت مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

ــ ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي ت [٨٥٢هـ / ١٤٤٨م]

١٢ــ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ــ بيروت ــ بدون تاريخ النشر .

ــ الحنبلي ، مجير الدين

١٣ــ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، بدون بيانات .

ــ ابن حيان ، محمد بن حيان بن أحمد بن أبي حاتم البستي ت [٣٥٤هـ / ٩٦٥م]

١٤ــ صحيح ابن حيان ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

ــ ابن خلدون ، عبدالله بن محمد ت [٨٠٨هـ / ١٤٠٥م]

١٥ــ المقدمة ، دار الجيل ــ بيروت ــ بدون تاريخ الطبع .

ـ الذهبي ، شمس الدين بن محمد بن أحمد ت [٧٤٨هـ / ١٣٤٧م]

١٦ـ سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوس ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤١٣هـ .

ـ ريموندا جيل

١٧ـ تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ت د. حسين محمد عطية ، دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية ـ ١٩٩٠م.

ـ السيوطي ، أبو عبدالله شمس الدين ت [٨٨٠هـ / ١٤٧٥م]

١٨ـ إتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى ، دار الكتب والوثائق القومية ـ مصر ـ ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

ـ الشارتري ، فوشيه

١٩ـ تاريخ الحملة إلي بيت المقدس ، ت زياد العسلي ـ الأردن ـ ١٩٩٠م .

ـ الصنعاني ، أبو بكر عبدالرازق بن همام ت [٢١١هـ / ٨٢٦م]

٢٠ـ مصنف عبدالرازق ، ت حبيب عبدالرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

ـ الصوري ، وليم

٢١ـ الحروب الصليبية ، ت د. حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٩٤م .

ـ الطبراني ، سليمان بن أحمد ت [٣٦٠هـ / ٩٧٧م]

٢٢ـ المعجم الأوسط ، دار الحرمين ـ القاهرة ـ ١٤١٥هـ .

٢٣ـ المعجم الكبير ، مكتبة الزهراء ـ الموصل ـ ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .

ـ الطبري ، محمد بن جرير [٣١٠هـ / ٩٢٢م]

٢٤ـ تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٩٧م

ـ ١٩٧٩م .

٢٥ـ تفسير الطبري ، دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤٠٥هـ .

ـ القرطبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد

٢٦ـ تفسير القرطبي ، دار الشعب ـ القاهرة ـ بدون تاريخ الطبع .

ـ القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود ت [٦٨٢هـ / ١٢٨٣م]

٢٧ـ آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ـ بيروت ـ بدون تاريخ الطبع .

ـ ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ت [٧٧٤هـ / ١٣٧٢م]

٢٨ـ البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ـ بيروت ـ بدون تاريخ الطبع .

٢٩ـ تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤٠١هـ .

ـ مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ت [٢٦١هـ / ٨٧٥م]

٣٠ـ صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ بدون تاريخ النشر

ـ المقدسي ، أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد ت [٦٤٣هـ / ١٢٤٥م]

٣١ـ الأحاديث المختارة ، مكتبة النهضة الحديثة ـ مكة المكرمة ـ ١٤١٠هـ .

ـ المقدسي ، شهاب الدين

٣٢ـ مثير الغرام إلي زيارة القدس والشام (مخطوط) مكتبة رفاعة الطهطاوي بسوهاج ـ مصر ـ رقم ١٦٠ (تاريخ) .

ـ المقدسي ، ابن المرجي

٣٣ـ فضائل بيت المقدس والخليل عليه السلام وفضائل الشام ، ضمن فضائل بيت المقدس .

ـ المقدسي ، المطهر بن طاهر ت [٣٥٥هـ / ٩٦٥م]

٣٤ـ البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية ـ مصر .

ـ المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي ت [٨٤٥هـ / ١٤٤١م]

٣٥ـ السلوك في معرفة دول الملوك ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ مصر ـ بدون تاريخ الطبع .

ـ ناصر خسرو ، أبو معين الدين ق [٥هـ / ١١م]

٣٦ـ سفر نامه ، ت يحيي الخشاب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ الألف كتاب الثاني ـ رقم ١٢٢ ـ ١٩٩٣م .

ـ النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت [٧٣٣هـ / ١٣٣٢م]

٣٧ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق د. محمد محمد أمين وآخرين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤١٤هـ / ١٩٩٢م .

ـ ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم ت [٦٩٧هـ / ١٢٩٧م]

٣٨ـ مفرج الكروب فى أخبار بني أيوب ، تحقيق د. حسنين ربيع ، دار الكتب والوثائق القومية مصر ـ ١٩٧٢م.

ـ الواقدي ، محمد بن عمر [٢٠٧هـ/ ٨٢٢م]

٣٩ـ كتاب الردة ، تحقيق محمد عبدالله أبو الخير ، دار الفرقان ـ الأردن ـ بدون سنة الطبع .

ثانياً : المراجع

العهد القديم .

ـ رينسيمان ، ستيفن

٤٠ـ تاريخ الحروب الصليبية ـ ت د. السيد الباز العريني ، دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

ـ زايد ، عبدالحميد (دكتور)

٤١ـ القدس الخالدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠م .

ـ الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد ت [١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م]

٤٢ـ أضواء البيان ، دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

ـ العارف ، عارف

٤٣ـ تاريخ القدس ، دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٩٩م .

ـــ عاشور ، سعيد (دكتور)

٤٤ـــ الحركة الصليبية ، مكتبة الأنجلو ـــ مصر ـــ ١٩٩٦م .

ـــ مهران ، محمد بيومي (دكتور)

٤٥ـــ دراسات تاريخية من القرآن الكريم (الشام) ـــ دار المعرفة الجامعية ـــ الإسكندرية ـــ ١٩٩٥م.

الفهرست

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	
الفصل الأول : فضائل المسجد الأقصى ومكانته ـــ القرآن الكريم .. وأقوال المفسرين . ـــ السنة النبوية .	
الفصل الثاني : البناء وملامح التاريخ القديم ـــ التسمية . ـــ تحديد الموقع . ـــ بناء المسجد الأقصى .	
الفصل الثالث : عصر النبوة والخلافة الراشدة ـــ المسجد الأقصى قبلة الإسلام الأولى . ـــ الإسراء إلي الأقصى والمعراج منه . ـــ الفتح الإسلامي لبيت المقدس . ـــ عمر بن الخطاب والمسجد الأقصى .	
الفصل الرابع : العصر الأموي ـــ مسجد قبة الصخرة . ـــ سبب بناء المسجد .	

الموضوع	رقم الصفحة
ـــ رعايته وتزيينه .	
الفصل الخامس : العصر العباسي ـــ إعمار المسجد وترميمه . ـــ الصليبيون والمسجد الأقصى . ـــ جهود الأيوبيين والمماليك تجاه الأقصى .	
الفصل السادس : وصف المؤرخين والرحالة للأقصى ـــ الأصطخري ، ق [٤هـ / ١٠م] ـــ ناصر خسرو ، ق [٥هـ / ١١م] . ـــ القزويني ، ق [٧هـ / ١٣م] ـــ ابن بطوطة ، ق [٨هـ / ١٤م] . ـــ شهاب الدين السيوطي ، ق [٩هـ / ١٥م] . ـــ مجير الدين الحنبلي ، ق [١٠هـ / ١٦م] .	
▪ خاتمة .	
▪ المصادر والمراجع .	
▪ الفهرست .	